المنزع العقلي في الأدب العربي القديم

الجاحظ

الحيوان - الرسائل

ترجمة الجاحظ

إذا اختلف الدارسون في سنة الولادة (من 150 هـ إلى 165 هـ)، فإنّهم متّفقون على سنة الوفاة. لقد أجمعوا على أنّ الجاحظ توفي عام 255 هـ في المدينة الّتي ولد فيها أي البصرة.

يُلاحظ أنّ الجاحظ جاء إلى الوجود بُعيْد قيام الدولة العباسية، وأنّ حياته امتدت على العصر العباسي الأول ومطلع العصر العباسي الثاني. هذه الحقبة من تاريخ العرب هي أزهى الحقب وأخصبها عطاء، لأنّهم استطاعوا فيها أن يقطعوا أشواطًا بعيدة في مضمار الرقيّ، وأن يبنوا حضارة عريقة، وأن ينجبوا نوابغ في العلوم والآداب والفلسفة.

في عهد المأمون : كان المأمون الخليفة العباسي الأول (198هـ/218 هـ) الَّذي اتَّصل به الجاحظ، والأرجح أنْ يكون اتّصاله به قد تمّ بعد اعتلائه سِدّة الخلافة وانتقاله إلى بغداد أي في بداية القرن الثالث الهجري. وقبل هذا التاريخ كان الجاحظ بعيدا عن قصر الخلافة في بغداد، يعيش في البصرة منصرفا إلى تحصيل العلم، وكسب الرزق، مغمورا، يحاول شقّ طريقه في عالم التأليف والفكر والأدب، دون أن تَلْقَى مؤلفاته رواجًا كما يخبرنا.

واتصالُ الجاحظ بالمأمون يعتبر حدثًا بالنسبة إلى الجاحظ، إذ به ينتهي عهده الأول في البصرة : عهد التحصيل، والفاقة، وخمول الذكر، ويبدأ عهده في بغداد، عهد العطاء، والغنى والشهرة. في هذا العهد الذي استمرّ نحو نصف قرن من الزمان عاش الجاحظ مقربًا من قصر الخلافة حائزًا على رضا أصحاب السلطان يخدمهم بقلمه ويحظى منهم بالرعاية والعطف والأموال والهبات.

أصبح الجاحظ في عهد المأمون من الرجال المقرَّبين يتردّد على أُولي الأمر ويجتمع بهم ويطّلع عن كثب على ما يجري في أروقة الخلافة من مناظرات ولقاءات وأحاديث. وقد رسم في كتبه صورة دقيقة عن ذلك الخليفة العظيم. فهو عالم متفلسف واسع الثقافة عميق المعرفة، قويّ الحجة بارع الجدل.

في عهد المعتصم : ولمّا توفّي المأمون سنة 218 هـ خلفه أخوه المعتصم، فسار سيرته في تكريم رجال الفكر والأدب، وفي تقريب المعتزلة، ولكنّه بالغ في محنة خلق القرآن حتى أنّه أقدم على جلد الإمام أحمد بن حنبل لرفضه القول بخلق القرآن. كان المعتصم رجل شدة وحرب ومروءة. جرت بينه وبين الروم معارك طاحنة حالفه فيها النصر، أشهرها معركة عمُّورية. وأقدم على عمل كان له أخطر الأثر على مستقبل الدولة العباسية هو الإكثار من العنصر التركي في جيشه، والاعتماد عليه دون سائر العناصر، ممّا أدى إلى غلبة الأتراك على العسكر واستبدادهم بالخلفاء وعبثهم بمقدرات السلطة والشعب منذ عهد المتوكل حتى قيام الدولة البويهية عام 332هـ.

أهمّ ما يلفت النظر في عهد المعتصم بالنسبة إلى الجاحظ علاقتُه بأحد الوزراء وهو محمد بن عبد الملك الزيَّات الذي ترك أثرا عظيمًا بنتاجه. كان ابن الزيَّات أديبا متضلِّعا باللغة، وقد رفعه أدبه إلى كرسي الوزارة ... اتصل الجاحظ بابن الزيات فقرّبه وتوثقت علاقته به وأقطعه أربع مائة جريب في الأعالي وهي مساحة تدرّ عليه مالاً وفيرًا وتؤمّن له عيشا رغيدا، هذا عدا الجوائز التي كان ينالها من الوزير على الكتب التي كان يهديه إيّاها. لقد أهداه كتاب الحيوان أو جزءا منه فأجازه بخمسة آلاف دينار ...

ويعتبر **عهد الواثق** الذي خلف المعتصم سنة 228 هـ عهد عزّ وخير بالنسبة إلى الجاحظ وسائر المعتزلة، إذ كانت مكانتهم عالية وعقيدتهم محترمة لقد غلب عليه القاضي أحمد بن أبي دُؤاد قاضي القضاة، ومحمد بن عبد الملك الزيات الوزير (توفي 233هـ)، وكلاهما معتزليّ. فكان الواثق لا يصدر إلا عن رأيهما ولا يخالفهما فيما رأياه. وتابع والده في محنة خلق القرآن.

في عهد المتوكّل : ولكن الحال تغيرت بعد موت الواثق وتسلَّم المتوكل سدّة العرش سنة 232 هـ. ولقد أحدث المتوكل انقلابا في سياسة الدولة، فغضب على الشيعة، وضيّق عليهم، وأمر بحرث قبر الحسين. كما أبعد المعتزلة وقرَّب أهل السنة و الجماعة، ونهى عن الكلام في القرآن، وأطلق من كان مسجونا بسبب هذه التهمة، وكساهم "وكتب إلى الآفاق كتبا ينهى عن المناظرة والجدل فأمسك الناس"، وغضب على أهل الذمة وضيّق عليهم.

اتّصل الجاحظ بالمتوكل، وكان سبب ذلك الاتصال أنه ذُكر لتأديب بعض أولاده، فاستدعاه إلى القصر، فلمّا رآه استبشع منظره ووصله بعشرة آلاف درهم وصرفه. ومعنى ذلك أنّ اتصال الجاحظ بالخليفة كان عابرًا، فلم تتوثق علاقته به كما توثّقت بأسلافه، أي المأمون والمعتصم والواثق. لم يبالِ المتوكل بالجاحظ، بل كرهه واشمأزّ من بشاعته وأمر بإبعاده. ولا نظنّ أنّ بشاعته وحدَها كانت السبب في إقصائه من قصر الخلافة.

وإذا لم يحالفه الحظ في التقرب من الخليفة، فقد وُفّق إلى كسب ودّ المقرّبين إليه وأصحاب السلطة أمثال القاضي المعتزلي أحمد بن أبي دؤاد (توفي سنة 239 هـ) هو وابنه محمد الوزير (239 هـ) والوزير الأديب الفتح ابن خاقان (توفي 247 هـ) وإبراهيم بن عباس الصُّولي (توفي 243 هـ) ...

وانقطع الجاحظ إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد منذ ذلك الحين وقدم إليه كتاب البيان والتبيين فأجازه بخمسة آلاف دينار. والراجح أنه قدم إليه جزءا من هذا الكتاب الذي انتهى من تصنيفه بعد كتاب الحيوان، وجاء بحثا في فلسفة اللغة والأدب ولم يتعرض للمسائل الكلامية والسياسية.

غير أن القاضي أصيب بالفالج* وتخلّى عن منصبه لابنه محمد فقرَّب الجاحظَ وحظي لديه وكتب له عدّة رسائل منها : رسالة "المعاش والمعاد" ورسالة في "نفي التشبيه" و"رسالة الفتيا ..."

بعد وفاة القاضي محمد بن أبي دؤاد سنة 239 هـ، راح الجاحظ يفتش عن سند آخر من أولي الأمر يفيء إلى ظله ويأوى إليه في الملمات، فوجد ذلك السند متمثلا بشخص الفتح بن خاقان الذي وزر للمتوكل وقتل معه سنة 247 هـ. كان الفتح أديبا شاعرا ذكيا مهتما كالجاحظ بجمع الكتب شغوفا بمطالعتها، وكان له مكتبة عامرة وترك مصنفات عديدة أهمها كتاب اختلاف الملوك وكتاب الروضة والزهر وكتاب الصيد والجوارح. أهدى الجاحظُ الفتحَ بنَ خاقان كتابَ "مناقب الترك وعامة جند الخلافة". وهو يرمي، كعادته من إهداء الكتب إلى التقرب من الفتح ونيل إنعامه باعتباره من أصل تركي ... وهناك شخصية ثالثة اتصل بها الجاحظ في هذا العهد هو إبراهيم بن العباس الصولي الذي أهدى إليه الجاحظ "كتاب الزرع والنخل" ونال جائزة سنية عليه.وكان الصولي كاتبا بليغا ومجيدا كما يقول المسعودي تكسّب في بادئ الأمر بالشعر وكان يميل إلى آل عليّ ويراهم أحقّ بالخلافة من غيرهم وانتهى إلى أن ولي ديوان الضياع، وتوفي في خلافة المتوكل سنة 243 هـ.

بعد المتوكّل : على إثر مصرع المتوكل سنة 247 هـ تولّى الخلافة ابنُه محمد المنتصر الذي عرف بعقوقه وقسوته. لقد اشترك في المؤامرة التي أودت بوالده وكان سفّاكا للدماء، غير أنّ خلافته لم تستمرَّ سوى ستّةِ أشهر إذْ قتله القواد الأتراك بالسمّ ونصبوا مكانه أحمد بن محمد بن المعتصم الملقب بالمُستعين سنة 248 هـ وكان هذا ضعيف الرأي والتدبير. فكثرت الفتن في أيامه واغتاله الجند بعد أربع سنوات من تولّيه الحكم، فخلفه المعتزّ بالله سنة 251 هـ الذي كان أحكم رأياً. ولكن القواد الأتراك أصبحوا منذ عهد المتوكل الحكام الحقيقيين واغتصبوا السلطة.

غير أنّ الجاحظ الذي شهد شباب الدولة العباسية وعنفوانها أو عهد الخلفاء الأقوياء كالرشيد والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، عندما رأى نجم الخلافة يميل إلى الأول وأحسّ ببوادر الضّعف تسري في عروقها آثر أن يبتعد عن العاصمة بغداد، فتركها قبل مقتل المتوكل سنة 247 هـ وعاد إلى مسقط رأسه البصرة حيث قضى السنوات القليلة الباقية من عمره منصرفا إلى التأليف. وقد تمكّن خلالها من إكمال كتاب الحيوان الذي كان قد بدأه ببغداد في عهد المعتصم وأتمّ تصنيف كتاب البيان والتبيين بعد فراغه من كتاب الحيوان وكان قد بدأه في عهد المتوكل.

تُوفي الجاحظ بالبصرة مصابا بمرضيْن هما الفالِج والنقْرِس**.

* الفالِج : داءٌ يحدث في أحد شقَّيْ البدن فيُبْطِل إحساسَه وحركَتهُ.

**النِقْرِسُ : ورمٌ يحدث في مفاصل القَدَمِ وفي إبْهامِها أكثر. ج نَقَارِس

علي أبو ملحم. "علاقة آثار الجاحظ بشخصه وعصره" ضمن رسائل الجاحظ (الرسائل الكلامية) دار مكتبة الهلال ط1/1987 ص ص 7–36

أشهر كتب الجاحظ

أشهر كتبه كتاب "البيان والتّبيين"، وكتاب "الحيوان"، وكتاب "البخلاء" ومجموع رسائله.

البيان والتبيين

هو أصل من أصول الأدب، ومصنّف من المصنّفات الأساسية في تاريخ البلاغة العربيّة .يرجّح مؤرّخو الأدب أنّ الجاحظ ألّفه في أُخريات حياته بعد كتاب الحيوان وأهداه إلى القاضي أحمد بن أبي دؤاد، وهو معتزلي من أصحاب واصل بن عطاء.

يضمّ البيان والتبيين أربعة أجزاء ويشمل الكتاب مادّة أدبيّة غزيرة متنوّعة (شعر – أحاديث –خطب – وصايا – أخبار ونوادر – مواعظ وقصص)، ويتخلّل هذه المادّة فيض من آراء الجاحظ البلاغيّة والنقديّة، وآراء سائر البلغاء ممّن عاصروه أو عاشوا قبله. وممّا ترجم عن الفرس والهند واليونان.

الرسائل

ألّف الجاحظ عددا كبيرا من الرسائل الأدبيّة وصلت إلينا في نسخ مختلفة. إلاّ أنّ أهمّ مجموع لرسائل الجاحظ هو مجموع عبد السلام هارون. وهو يضمّ خمسا وأربعين رسالة ألّفها الجاحظ في أزمنة مختلفة، وأهداها إلى أعلام عصره. ويتطرّق في هذه الرسائل إلى مواضيع الأدب في مفهومه الإنساني العامّ كرسالة المعاش والمعاد أو الآداب، وإلى مواضيع اجتماعية سياسية متّصلة بقضايا عصره كمناقب الترك ويعالج في هذه الرسائل مسائل تتعلّق بقضيّة الخلافة والإمامة وبقضايا الأجناس والأعراف كفخر السودان على البيضان. وتشبه الرسائل من هذه الناحية خطاب أدب المقال في العصور الحديثة.

كتاب الحيوان

قال عبد السلام هارون في تهذيب الحيوان للجاحظ : (القاهرة 1957 ص ص 3 – 13)

سبق اليونانيون أسلافنا العرب إلى التأليف في علم الحيوان، وألّفوا في ذلك كتبا.أمّا الجاحظ فكتابه ينطق بالقصد العلمي التّفصيلي للحيوان جميعا، ولكلّ مملكة من ممالكه، ولكلّ جنس من أجناسه، وهو فضل للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممّن كتب في الحيوان، وإن كان قد أعوزه بعض التّرتيب والتّهذيب فذلك شأن كلّ كتابة جديدة في أمر متشعّب الأطراف ممدود النّواحي.

اعتمد الجاحظ على أمور خاصّة رئيسيّة في تأليف كتابه :

أوّلــها : الينبوع الذي لا ينضب من القرآن وحديث الرّسول.

والثّـاني : وعليه كان أكثر اعتماده : الشعر العربـي.

والمادّة الثالثة من موادّ الكتاب هي كتاب الحيوان لأرسطو الذي يلقّبه الجاحظ بصاحب المنطق.

والمادّة الرّابعة من مواد الكتاب، هي تلك المحاولة وذلك الكلام الذي ولّده المعتزلة. وقد دفع بهم ذلك التيّار العارم إلى مواطن شتّى من نواحي الحِجَاج والجَدَل.

والمادة الخامسة من مواد الكتاب هي تلك الخبرة الشخصية وذلك الولوع الذي كان يدفع بصاحبنا إلى السؤال ممن يتوسم فيه العلم.

الجاحظ يقدّم كتاب الحيوان

ثم قصدتَ إلى كتابي هذا بالتصغير لِقَدْره والتهجين لِنَظْمِه والاعتراض على لفظه والتحقير لمعانيه، فزَرَيْت على نحْتِهِ وسبْكه كما زَرَيْتَ على معْناهُ ولفظه، ثمّ طعنتَ في الغرض الذي إليه نزعْنا والغاية التي إليها قَصَدنا. على أنّه كتابٌ معناهُ أنبَهُ من اسمِهِ، وحقيقتُه آنَقُ من لفظه. وهو كتابٌ يحتاجُ إليه المتوسّط العاميّ كما يحتاجُ إليه العالِمُ الخاصيّ، ويحتاج إليه الرّيّض كما يحتاج إليه الحاذق. أمّا الرّيضُ فللتعلّم والدّرْبة وللترتيب والرياضة وللتمرين وتمكين العادة إذْ كان جليلُه يتقدم دقيقَه، وإذ كانت مقدّماته مرتبة وطبقاتُ معانيه منزّلة. وأمّا الحاذقُ فلكفايةِ المؤنة لأنّ كلّ من التقط كتابا جامعا وباباً من أمّهات العلم مجموعا كان له غُنْمه وعلى مؤلّفِه غُرمُه، وكانَ له نفعُه وعلى صاحِبِه كَدُّه مع تعرّضِهِ لمطاعِنِ البُغَاة ولاعتراض المنافسين ومع عَرْضِهِ عقلَه المكدودَ على العقولِ الفارغة، ومعانيه على الجهابذة، وتحكيمِه فيه المتأوّلين والحسَدَة. ومتى ظَفِر بمثله صاحبُ علم أو هجَمَ عليه طالبُ فقه، وهو وادعٌ رافِهٌ، ونشِيط جامّ، ومؤلّفهُ مُتعَبٌ مكدود، فقد كُفِي مؤونَة جمعه وخزنِه وطلبِه وتتبُّعِه وأغناه ذلك عن طول التفكير واستنفادِ العمر وفَلِّ الحدّ، وأدْرَك أقصى حاجتِه وهو مجتمعُ القوّة. وعلى أنّ له عند ذلك أن يجعلَ هُجومَه عليه من التوفيق وظفَره به بابًا من التسديد.

وهذا كتابٌ تستوي فيه رغبةُ الأمم، وتتشابَه فيه العُرْبُ والعَجَمُ، لأنّه وإن كانَ عَرَبيًّا أعرابيّا وإسلاميّا جماعيّا، فقد أخَذَ من طُرَفِ الفلسفة وجَمَعَ بين معرفةِ السماعِ وعلمِ التجربة وأشرَكَ بين علمِ الكتاب والسنّةِ وبينَ وجْدان الحاسّة وإحساس الغريزة. ويشتهيه الفتيان كما تشتهيه الشيُوخُ، ويشتهيه الفاتِكُ كما يشتهيه الناسِك، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللّهوِ كما يشتهيه المجدّ ذو الحزمِ، ويشتهيه الغُفْلُ كما يشتهيه الأريب، ويشتهيه الغبيُّ كما يشتهيه الفَطِن.

الجاحظ /كتاب الحيوان. تحقيق عبد السلام هارون.

دار إحياء التراث العربي. بيروت الطبعة الثالثة 1969 الجزء الأوّل ص ص 10/11

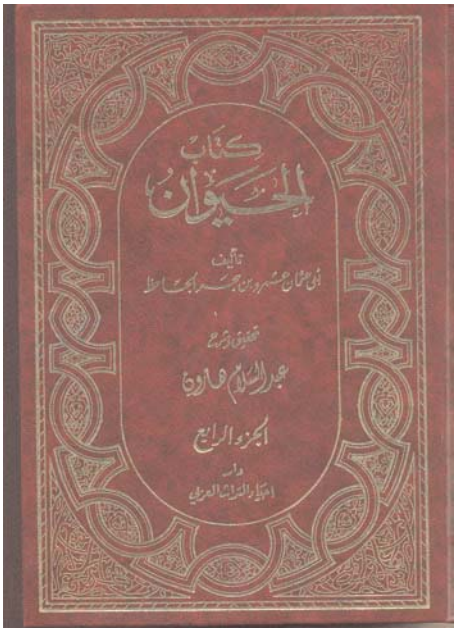

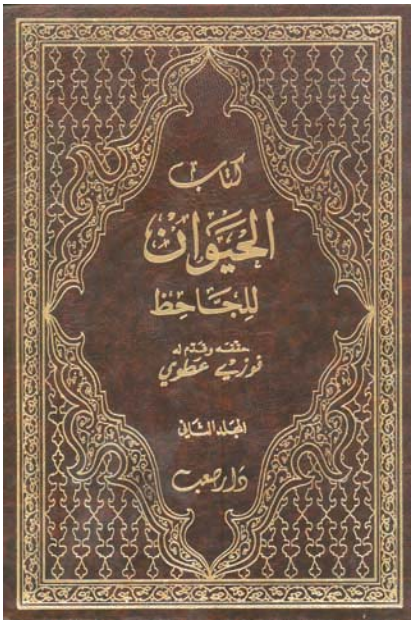

المعتزلة

ويُسمّون أصحابَ العدل والتوحيد، ويلقّبون بالقَدَرية والعدْلية ... والذي يَعُمّ طائفةَ المعتزلة من الاعتقاد القولُ بأنّ الله تعالى قديم، والقِدمُ أخصّ وصف ذاته. وَنَفَوْا الصفاتِ القديمة أصلاً، فقالوا : هو عالِم بذاته، قادر بذاته، حيّ بذاته، لا بعلمٍ وقدرةٍ وحياةٍ. هي صفات قديمة، ومعانٍ قائمة به لأنه لَوْ شاركته الصفاتُ في القدم الذي هو أخصّ الوصف لشاركته في الإلهية.

- واتفقوا على أنّ كلامه محدَث مخلوق في محلّ. وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه. فإن ما وجد في المحلّ عَرض قد فني في الحال.
- واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاتها، لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامِل معانيها.
- واتفقوا على نفي رؤية اللّه تعالى بالأبصار في دار القرار، ونفي التشبيه عنه من كل وجه : جهةً، ومكانًا، وصورةً، وجسْمًا، وتحيّزًا، وانتقالا، وزوالاً، وتغيرا، وتأثرا. وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها. وسمَّوْا هذا النمط : توحيدًا.
- واتفقوا على أنّ العبد قادر خالق لأفعاله خيرِها وشرِّها مستحقّ على ما يفعله ثوابًا وعقابًا في الدار الآخرة. والربّ تعالى منزَّه أن يضاف إليه شرٌّ وظلمٌ، وفعلٌ هو كفر ومعصية ، لأنّه لَوْ خَلَق الظلم لكان ظالمًا كما لوخلق العدل لكان عادلاً.
- واتفقوا على أنّ الله تعالى لا يفعل إلاّ الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعايةُ مصالح العباد، وأمّا الأصلحُ ففي وجوبه عندهم خلاف .وسمَّوا هذا النمط : عدلاً.
- واتفقوا على أنّ المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعةٍ وتوبة استحقّ الثّوابَ والعوض وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحقّ الخلود في النار، لكن يكون عقابُه أخفَّ من عقاب الكفار. وسمَّوا هذا النمط : وعدًا ووعيدًا.
- واتفقوا على أنّ أصول المعرفة وشكرَ النعمة وَاجبة قبل ورود السمع. والحسن والقبحُ يجب معرفتهما بالعقل. واعتناق الحسن واجتناب القبيح واجب كذلك.

* واختلفوا في الإمامة، والقول فيها نصًّا واختيارا.

الشَّهرِسْتاني. المِلَلُ والنِحَل.

تحقيق عبد الأمير علي مهنا وعلي حسن قاعُود. دار المعرفة. بيروت. ط1/1990 الجزء الأول ص ص 56/59

الحياةُ الاجتماعيَّةُ في عصرِ الجاحِظِ

1- **الموالي** : كان العبّاسيّون يعترفون أنّ دولتهم قامت على أكتاف الفرس، لذلك أكثروا من استخدامهم في المناصب العالية فَقَوِيَ نفوذهم واستمرَّ هذا النّفوذ حتى عهد المأمون. فلمّا جاء المعتصم أحلّ التّرك محلّ الفرس.

ولم يقتصر النّفوذ الفارسي على النّاحية السّياسية، بَلْ تجاوزها إلى نواح اجتماعيّة وثقافيّة : فقصور الخلفاء ملئت بالموالي، والتّقاليد والعادات الفارسيّة انتشرت في مختلف الأوساط والفئات، وكذلك انتشرت الثّقافة الفارسيّة.

2- **الشّعوبيّة** : هي نزعة تهدف إلى التّخلص من سيطرة العرب وقد بلغت أوجها في القرن الثّالث الهجري، وذلك أن العبّاسيّين تعصّبوا للإسلام أكثر ممّا تعصّبوا للعربيّة فحاربوا الزّندقة ولم يحاربوا الشّعوبية.

3- **الرّقيق** : انتشرت تجارة الرّقيق في المملكة الإسلاميّة في ذلك العصرانتشارا واسعا وكانت قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء تحوي رقيقا من أمم مخالفة :"قيل إنّه كان في قصر المتوكل أربعة آلاف جارية". واتّجه العبّاسيّون إلى تعليم الجواري وخاصّة الغناء فانتشر الغناء في ذلك العصر حتّى أصبح يُعَدُّ من حاجات الإنسان الضروريّة.

4- **الزّندقة** : انتشرت الزّندقة في ذلك العصر لأسباب منها : ازدهار العلوم واطّلاع العرب على الكتب العلميّة والفلسفيّة وما تحمل هذه الكتب في ثناياها من دعوة إلى الشكّ ومنها أنّ بعض الفرس الّذين دخلوا في الإسلام كانوا يحملون عناصر من دياناتهم السّابقة كالمجوسيّة فأخذوا يبثّونها في المجتمع الإسلامي.ولم يقف العبّاسيّون موقفا ليّنا من الزّندقة بَلْ حاربوا هذه النّزعة بشدّة فجلدوا وقتلوا وصلبوا على الشّبهة في كثير من الأحيان.

5- **حياة اللّهو** : **انتشرت** في ذلك العصر عادات وتقاليد فارسيّة منها : الإفراط في شرب النّبيذ، والإفراط في اللّهو. وقد ساعد الغِنَى على انتشار ألوان من البذخ والتّرف. ولم يقتصر ذلك على الأغنياء بَلْ تعدّاهم إلى الطبقة الوسطى من النّاس الّذين قلّدوا الأغنياء فظهر التّفنن في البناء والمبالغة في الاعتناء بالموائد ومجالس الشّراب واللّعب بالنّرد والشّطرنج، والعناية بتربية الحمَام والكلاب، كما انتشر القمار حتّى عند الفقراء وأولعوا بالنّقش والتّصوير وأتْقنوا الرّقص والغناء وأحبّوا البساتين والأزهار : "مثل هذا الجوّ كان البيئة الصّالحة لظهور شعراء يسيرون سيرة أبي نوّاس " وكان من الطبيعي أن تنتج هذه الحركة الماجنة اللاّهية حركة أخرى مضادّة لها وهي حركة الزّهد ممثّلة في الشّعر بأبي العتاهية.

6- **الحياة الأدبيّة** : يمكن عدّ هذا العصر عصرا ذهبيّا في نشأة العلوم. ففيه وضع تفسير القرآن وجمع الحديث ووضع علْم النحو ووضعت كتب اللّغة ووضع العروض ودوّنت أشعار العرب، ودوّن الفقه والتّاريخ وترجمت الكتب الفلسفيّة من منطق ورياضة وطبّ ...

وفي هذا العصر كان الاختلاط قد اشتدّ بين العرب وغيرهم من الشّعوب وكان لكلّ شعب ثقافته الخاصّة فأخذت هذه الثّقافات تتلاقى وتتمازج وتتفاعل لتشكّل فيما بعد ثقافة واحدة كبرى. وكان أهمّ تلك الثّقافات الشّائعة:

* **الثّقافة العربيّة** : وكانت تقوم على عدّة نواح، منها النّاحية الدّينيّة وما يتفرّع عنها من درس للقرآن ومن حديث ومن فقه، ومنها النّاحية الأدبيّة الّتي تشمل اللّغة والشّعر والقصص .

* **الثّقافة الفارسيّة** : وقد ظهرت في ما ترجم من كتب أدبيّة وعلميّة فارسيّة إلى اللّغة العربيّة، وقد ترجم كثير من الكتب العلميّة في التّنجيم والهندسة والجغرافية كما ترجم في الأدب كتب عديدة، أشهرها كتاب كليلة ودمنة لابن المقفّع...

* **الثّقافة اليونانيّة** : ترجم إلى اللّغة العربيّة في هذا العصر أهمّ نِتاج العقل اليوناني في العلْم والفلسفة واطّلع عليه المسلمون فظهر أثره في كلّ العلوم تقريبا، ظهر أثر المنْطق في علوم اللّغة وفي علوم الدّين وفي الفرق الدّينيّة. وكانت أهمّ الفرق الدّينيّة وأوسعها نفوذا في عصر الجاحظ فرقة المعتزلة والجاحظ نفسه كان معتزليّا، كما أنّ الخليفة المأمون كان ميّالا إلى مذهبهم. وتمتاز هذه الفرقة بمقدرة علمائها في الخطابة والمناظرة والجدَل وفي الاطّلاع الواسع وفي الاعتماد على العقل وفي تأثّرهم بالمنطق وفي قولهم بحرّيّة الإرادة الإنسانيّة.

رسائل الجاحظ. شرح وتقديم عبد مهنا
دار الحداثة. بيروت ط 1/ 1987 ص ص 6 – 7 – 8

"... أنّ العلم لا يجود بمكنونه إلاّ لمن رغب فيه"

صورة تمثل ارسطاطاليس يُعلّم

من كتاب العلوم في الإسلام دار الجنوب للنشر. تونس 1978

الفلسفة العربية الإسلامية

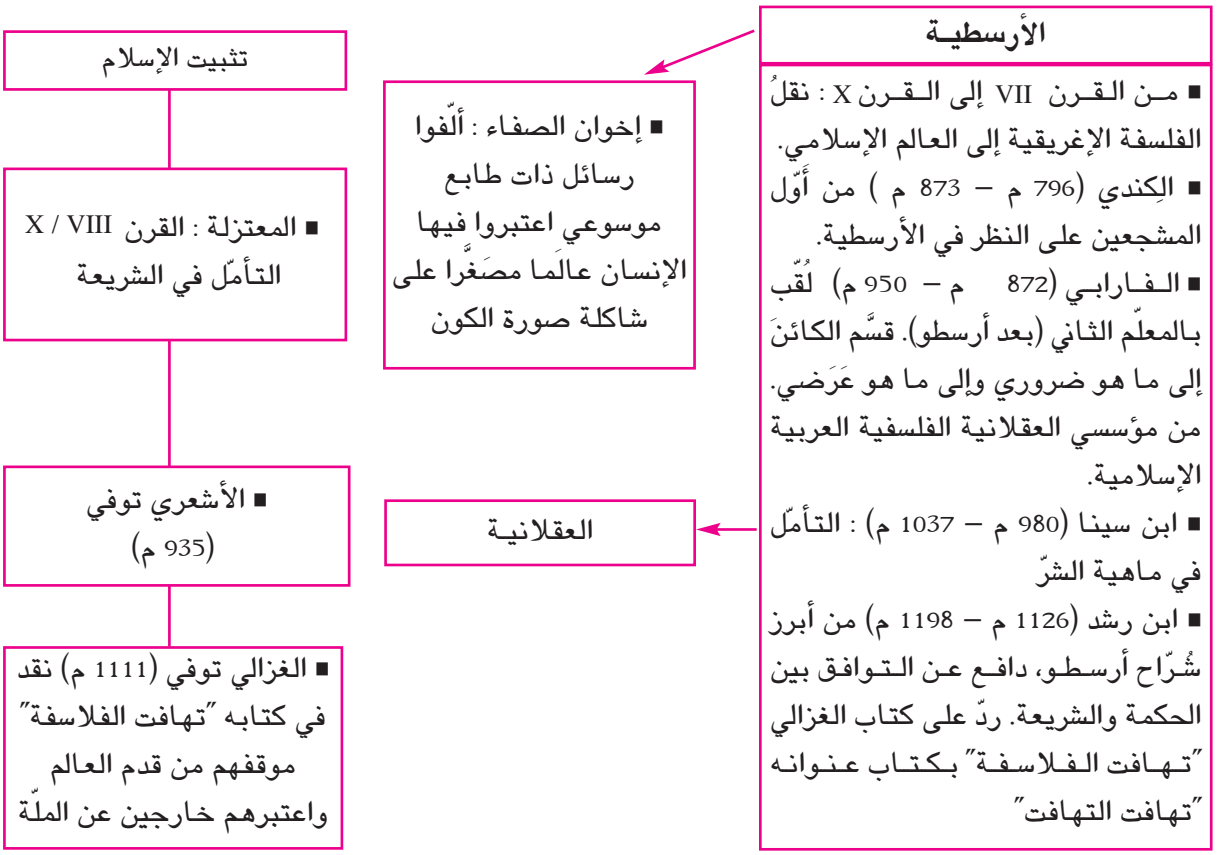

المرجع : عن معجم الفلسفة. Dictionnaire de Philosophie Nathan 1999, p28.

ملـف المحـور

يمكنك أن تكوّن ملفك من الوثائق التالية :

1– مذكّرة تسجّل فيها خصائص النّص الحجاجي عند الجاحظ تثرى شيئا فشيئا من خلال التقدّم في شرح النصوص.

2– مذكّرة في المنهج العلمي عند الجاحظ من خلال النصوص.

3– مذكّرة في تجليات الفكر الاعتزالي.

4– مقتطفات من اطلاعاتك على دراسات وكتابات حول الجاحظ، والمعتزلة ونظريات الحجاج.

كما يحسن الاستعانة بالجزء الخاص بأبي حيان التوحيدي من هذا الكتاب.

خطاطة للنص الحجاجي

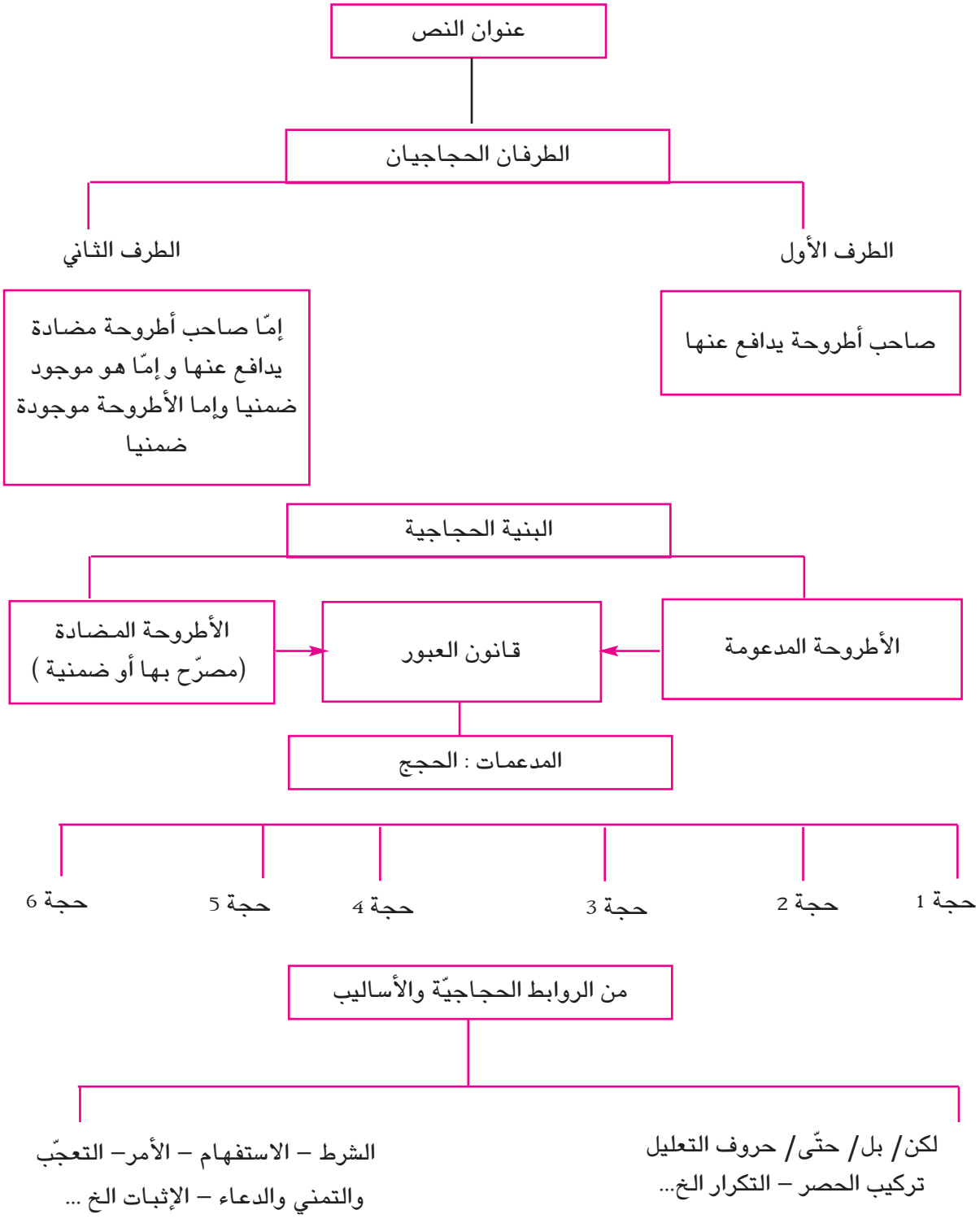

ملاحظة : لمزيد فهم النصّ الحجاجي عند الجاحظ أو التوحيدي عليك الاستعانة بهذا البيان. انظر التطبيق في نصّ : منطق الطير للجاحظ ص 172.

النّصّ عدد 1

فخر السودان على البيضان

التمهيد

عاش الجاحظ في بيئة تمازجت فيها الثقافات والأجناس واختلطت فيها الألوان فأفرزت ظواهر اجتماعية رصدها الجاحظ بحسّ مرهف ونظر دقيق، وسجّلها في رسائله وكتبه فألّف عن العرب والعجم وعن مناقب الترك وعن الهُجناء وعن فخر السودان على البيضان. وقد تناول هذه المواضيع بفكر موضوعي معتمدا العقل في التفسير والتعليل بعيدا عن العاطفة والأحكام الجاهزة.

قالوا : والنّاسُ مجمِعون على أنّه ليس في الأرض أمَّةٌ السَّخاءُ(1) فيها أعمُّ وعليها أغلبُ من الزِّنج(2). وهاتانِ الخلّتانِ لم توجَدا قطُّ إلاّ في كريم.

وقد قال ناسٌ : إنّهم صاروا أسخياءَ لضعف عقولهم، ولقصر رَويَّاتهم(3)، ولجهلهم بالعواقب. فقلنا لهم : بِئْسَ ما أثنيتم على السَّخاء والأَثرة(4)، وينبغي في هذا القياس أن يكونَ أوفرُ النَّاس عقلاً وأكثرُ النَّاس علماً أبخلَ النّاس بُخلاً وأقلّهم خيرًا.

وقد رأينا الصَّقالِبةَ(5) أبخَلَ من الرُّوم، والرُّومَ أبعدَ رؤيةً وأشدّ عقولاً. وعلى قياسِ قولكِم أنْ(6) قد ينبغي أنْ تكون الصَّقالبةُ أَسْخَى أنفسًا وأسمحَ أكُفًّا منهم.

وقد رأينا النِّساءَ أضعفَ من الرجال عُقُولاً والصِّبيان أَضْعفَ عقولاً منهم.وهم أبخلُ من النِّساء والنِّساءُ أضعفُ عقولاً من الرّجال. ولو كان العقلُ كلَّما كان أشدَّ كان صاحبُه أبخلَ، كان ينبغي أن يكون الصبيُّ أكرمَ النّاس خِصالاً. ولا نعلم في الأرض شَرًّا من صبيٍّ : هو أَكذَبُ النَّاسِ وأنمُّ النَّاس وأَشْرَهُ الناس وأبخَلُ النّاس وأقلُّ الناس خيرا وأقسى الناس قَسْوَةً.

وإنّما يخرج الصبيُّ من هذه الخلال أولاً فأولاً، على قَدْرِ ما يزداد من العَقْل فيزداد من الأفعال الجميلةِ. فكيف صار قلّةُ العقل هو سببُ سخاءِ الزّنج، وقد أَقْرَرْتُمْ(7) لهم بالسَّخاء ثمّ ادّعيتم(8) ما لا يُعرف. وقد وقّفناكم على(9) إدْحَاضِ (10) حُجتكم(11) في ذلك بالقياسِ(12) الصَّحيح.

وهذا القول يُوجب أن يكون الجبانُ أعقلَ من الشُّجاع والغادرُ أَعْقَلَ من الوفيّ. وينبغي أن يكونَ الجزوعُ(13) أعقلَ من الصَّبور. فهذا ما لاحُجَّةَ فيه لكم، بل ذلك هِبة في الناس من الله. والعقلُ هِبةٌ(14)، وحسنُ الخُلق هِبة، والسَّخاءُ والشّجاعة كذلك.

الجاحظ. الرسائل : تحقيق عبد السلام هارون
مكتبة الخانجي بالقاهرة ط 1979 الجزء الأول ص ص 195/197

الشرح

1) **السَّخاء** : مصدر يتعلّق بسَخَا يَسْخُو وسَخِيَ يَسْخَى وسَخُوَ يَسْخُو، السَّخاءُ : الجودُ بالمال.
2) **الزّنجُ** : والزَّنْجُ : قومٌ من السودان، وهم الزُّنُوجُ واحدهم زِنْجِيٌّ.

3) **رَوِيّاتهم** : مفردها رَوِيَّة : رَوَّى في الأمر : نَظَرَ فيه وتعقَّبَهُ. الرَّوِيَّةُ في الأمر : أن تنظرَ ولا تعْجَلَ. الرَّوِيَّةُ : التفكّرُ في الأمر. تُجمع أيضا على رَوَايا.

4) **الأَثَرَة** : مصدر متعلّق بأَثِرَ يأْثَرُ عليه : فضَّل نفسَه عليه في النَّصيبِ. ضدُّه الإيثارُ.

5) **الصَّقالبة** : واحده صَقْلَبيٌّ. هي عبارة قديمة في نُطْق من يُسمّون اليوم بالسَّلاف، والسَّلاف تسمية تعمّ مجموعة من الشعوب الآريّة من الشمال الشرقي الأوربيّ وهم منذ القدم الروس والبلغار. وقد سمّاهم الرومان بهذا الاسم، لأنّهم يجلبون منهم عبيدهم، كما سمّوا أهل إفريقيّة بالبربر.

6) **أن** : حَرْف مَوْصول مخفّفة عن "أنّ" وعلى قياس قولكُمْ "أنّه قد ينبغي".

7) **أقْرَرْتُمْ** : أقرَّ لَهُ بالشيء : اعترف بهِ وأثْبَتَهُ. وأَقرَّ الرأيَ : رَضِيَهُ.

8) **ادَّعَيْتُم** : ادَّعى الشيءَ ادِّعاءً ودَعْوَى : زَعَمَهُ حَقًّا أو بَاطِلاً.

9) **وقَّفْناكُمْ على** : أطْلعْناكُمْ.

10) **إدْحَاض** : مصدر متعلّق بأَدْحَضَ : أَدْحَضَ الله حُجَّتَهُ : أبْطَلَهَا ودَفَعَهَا.

11) **حُجَّتُكم** : ج حُجَجٌ وحِجَاجٌ. الحُجَّة : ما دُفِعَ به الخَصْم.

12) **القِيَاس** : في اللغة : رَدُّ الشيء إلى نَظِيرِهِ. وفي **المنطق** : قول مركَّب من قَضِيَّتَين أو أكثر متَى سُلِّمَ لَزِمَ عنه لذاته قولٌ آخر.

13) **الجَزُوع** : صفة مشبّهة متعلّق بِجَزِعَ يَجْزَعُ جَزَعًا وجُزُوعًا : لم يصبر على ما نَزَلَ بِهِ. فهو جَزِعٌ وجَازِعٌ وجَزُوعٌ.

14) **هِبَة** : مصدر متعلّق بوَهَبَ لهُ الشيء : أَعْطَاهُ إيَّاهُ بلا عِوض. الهِبَةُ : التَّبرُّعُ. وفي الشرع تمليكُ العيْن بِلاَ عِوَضٍ.

الفهم والتحليل

1– النصُّ ذو بنية حجاجية .قطّعه وفق هذه البنية.

2– يمكن أن تكتمل بنية النصّ الحجاجية عند قوله "بالقياس الصحيح". ما قيمة الفقرة التي أضافها الجاحظ؟ وهل تُغيِّر في بناء النصّ لو قُدّمت ؟

3– حدّد طرَفَي الحوار وادرس كمَّ التلفظ بالنسبة إلى كلٍّ منهما. ماذا تستنتج ؟

4– استخرج معجم الحجاج وحاول أن توظفه في تحليل النصّ.

5– استخرج صيغ التفضيل التي وردت في النصّ واستخلص منها القيم التي اعتمدها الجاحظ في بناء حجاجه.

6– تبدو لهجة الخطاب قويَّة. اذكر بعض الأساليب والعبارات الدَّالَّة على ذلك.

7– دحض الجاحظ حجج الخصم "بالقياس الصحيح"، وضّح ذلك.

8– هل كان الاختلاف حول الأطروحة أم حول تأويلها ؟ وهل لهذا تأثير في الإقناع ؟

9– ألا ترى أن الحجج التي قدمها الجاحظ تعود في الأصل إلى حجة واحدة ؟ ماهي ؟

10– أين يتجلّى لك المنزع العقلي في حجاج الجاحظ ؟

النقاش

- يعالج النصُّ قضية اجتماعية أخلاقية، تعامل معها الجاحظُ تعاملا عقليا. إلى أيّ حدّ وُفّق في ذلك ؟
- يقول الجاحظ في مقدمة هذه الرسالة مخاطبا من طلب منه هذا التأليف " ذكرتَ -أعاذك الله من الغش– أنّك قرأت كتابي في محاجّة الصرحاء للهجناء أو ردّ الهجناء ... وذكرت أنّك أحببت أن أكتب لك مفاخر السودان ...ج 1 ص 177" هل ترى أن الجاحظ كتب الرسالة تلبية لِطلبٍ أم له أغراض أخرى ؟

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	**أ– بِئْس** فعل لإنشاء الذمّ ويقابلُه " نِعْم" فعل لإنشاء المدح . وفي النص ورد هذا الفعل أول عبارة تلفّظ بها المحاج" فقلنا لهم : بئس ما أثنيتم على السخاء والأثرة". علام يدلّ هذا وما قيمته في الِحجاج ؟ **ب– بَـلْ** – تستعمل للإضراب عن الحكم الأوّل وإثْبَاتِ الحُكْم الثاني سَلْبا أو إيجابا (القزويني – الإيضاح في علوم البلاغة ص 105) تفيد بلْ : * إمّا الإبْطالَ : "وَقَالُوا اتّخَذ الرحمانُ وَلدًا سُبْحَانَهُ بَلْ مُكْرَمُون" (الأنبياء ص 105) * وإمّا الانتقال إلى غرض آخَر : "قدأفْلَحَ مَنْ تزَكّى وذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فصَلّى بَلْ تُؤثِرونَ الحياة الدنيا" (الأعلى 16) – تكون أيضا عاطفةً. فإن تقدّمها أمرٌ أو إيجابٌ فهي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه، فلا يحْكَمُ عليه بشيءٍ وإثبات الحُكْم لما بعدها (قَامَ زيدٌ بلْ عَمْرُو). وإن تقدّمها نهي أو نفْي فهي لتقرير ما قبلها على حالته وجعل ضدّه لِمَا بَعْدَه (ما قَامَ زيدٌ بلْ عَمْرُو) – وتزادُ قبلها "لا" لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب ولتوكيد تقريرها مَا قَبْلَهَا بعد النفي عن ابن هشام. مغني اللبيب دار إحياء التراث العربي(د.ت) ج 1 ص112/113 **ج– اسمُ التفضيل** – التّفضيل مقارنة بين شيئين غيرِ متساويين في القيمة لبيان توفّر هذه القيمة عند أحدهما بنسبة تفوق الآخر. ويستعمل المتكلّمُ التفضيلَ للمقارنة أو للتفضيل المطلق. وللتفضيل صيغٌ غير قياسية مثل : خَيْر وشرّ. – في الِحجاج، تُستخدم المقارنةُ لتقوية حجّة نتيجة أو حُكْم وذلك إمّا بإحداث **أَثَرٍ تعليميٍّ** (نقارن لِنُجسِّم ولنفهم أكثر) حين تكونُ المقارنةُ موضوعيّةً وإمّا بإحداث أثرٍ إعْمَائي(بِصرف المخاطب إلى ظاهرة أخرى مماثلة) من شأنه أن يمنع من اعتبار صِدْقية الحجّة حين تكون المقارنةُ ذاتيّةً. – والمقارنة هي نتيجةُ تفكير وتتمثلُ في مقارنة صفاتِ شخصين أو أكثر أو/و سلوكاتهم واستخلاصِ ما يتّفق منها وما يختلفُ. Charaudeau. Grammaire de l'expression et du sens p 822
المعجم	اجمع مصطلحات الحجاج الواردة في النصّ.
الكتابة	يقول السودان "ولنا بعدُ معرفةٌ بالتّفلسف والنّظر، ونحن أثقف الناس" . الجاحظ. الرسائل تحقيق عبد السلام هارون ج 1 ص ص 160–161 اكتب نصّا حجاجيا تدعم فيه هذا الرأي.

تنويـــر

من آراء الجاحظ

التفاضل بكثرة المحاسن

يقول الجاحظ" ولكلٍّ نصيبٌ من النقص، ومقدارٌ من الذُنوب، وإنّما يتفاضَلُ النّاس بكثرةِ المحاسنِ وقلّةِ المساوِي. فأمّا الاشتمالُ على جميع المحاسن، والسلامةُ من جميع المساوِي دقيقها وجليلِها، وظاهرهَا وخفيّهَا، فهذا لا يُعرفُ ".

رسالة مناقب الترك 1 – رسائل الجاحظ – تحقيق عبد مهنا دار الحداثة بيروت 1988 ص 37

في النصّ

المفاخرة صنفان : "لقد كتب الجاحظ عدّةَ رسائل في المفاخرة، منها ما يتعلّق بالأجناس كمفاخرة السودان على البيضان ومنها مفاخراتٌ قبليّة ذاتُ أبعاد سياسية كَفَضْلِ هَاشِم على عَبْدِ شمس، ومنها مفاخراتٌ بين الفئات الاجتماعية كمفاخرة الجواري والغِلْمان أو مدح التجّار وذمّ عمل السلطان، وله أخيرا مجموعةٌ من الرسائل فاضل فيها بين أشياء مختلفة كالفصول (مفاخرة الشتاء والصيف) والنباتِ (النخل والزرع). ويبدو في ظاهر النصوص أنّ المفاخرة صنفان : **أمّا الصنف الأول** فهو ذو صوت واحد، أي أنّ الكاتب يقتصر فيه على ذكر فضائل طرف من طرفي التفاخر على نحوِ ما نجد في رسالة مفاخرة السودان على البيضان، أو تفضيل البطن على الظهر، **وأمّا الصنف الثاني فهو صنف حِواري يقوم على ذكر فضائل الطرفين**، في صيغة نَقِيضيّةٍ، كمفاخرة الجواري والغلمان."

صالح بن رمضان. الرسائل الأدبية. منشورات كلية الآداب منوبة/2001 ص ص 416/417

في الأثـر

تتبّع المعنى : "كان الجاحظ من الأعلام القليلين الذين لهم أثرٌ كبير في الدين وفي الكلامِ وفي الأدب، ورُزقَ الحُظْوَة في أسلوبه فكان سهلا عذبا رصينا فَكِها ، يتتبّع المعنى ويقلّبه على مختلف وجوهه، ولا يزال يُوَلّده، حتى لا يترك فيه قولا لقائل، فلمّا استعملَ أسلوبَه هذا في الاعتزال وفي المسائل الدينية قرّبها إلى عقول الناس وأذهانِهم، من حيث كانت قَبْلَهُ مركّزة غامضةً، لا يدركها إلا الخاصةُ، فجلّى بأسلوبه غامضَها وأوسعَ ضَيِّقَها وقرّبها إلى كلِّ ذهن فاتّسعت دائرةُ المعارف ووصلتْ به إلى عقولٍ لم تكن تَسيغ أقوالَ الفلاسفة والمتكلمين وأقنع أفهامَ قومٍ لم يكن يُقنعهم القولُ الموجزُ والتعبير المجملُ".

محمد عبد المنعم خفاجي."أبو عثمان الجاحظ " دار الكتاب اللبناني بيروت ط1/1973 ص 163

المفاهيم

القياس : **هو** استدلال منطقيّ، وهو حسب فخر الدين الرازي "أن يُستدَل بالعامّ على الخاصّ ..." ويشتمل على مقدمتين (الكبرى والصغرى) ونتيجةٍ كقولك :

كل إنسان يموت (الكبرى)

سقراط إنسان(الصغرى)

إذن سقراط يموت(النتيجة)

والقياسُ في نظر الفقهاء " هو تطبيق حُكْمِ مسألةٍ منصوصٍ عليها على مسألة أخرى لوحدة العِلّة بينهما ".

وبهذا التعريفِ يُصبح استدلالُ الفقهاء أقربَ إلى **المجانسة** Analogie (المماثلة) منه إلى القياس الحقيقي Syllogisme.

عن كتاب "التفكير الإسلامي" إعداد مجموعة من الأساتذة – الشركة التونسية للتوزيع ج 1 ص 51 (دت).

في الحجاج

1– تعريف الاعتراض

"حد "الاعتراض" أن يرتقيَ "المعروضُ عليه" إلى درجة منَ يتعاون مع "العارض" في إنشاء معرفة نظرية مشتركة، ملتزما في ذلك أساليبَ معينة يعتقد بأنّها كفيلة بتقويم العَرْض وتحقيقِ الإقناع. تنتج عن هذا التعريفِ خصائص "الاعتراض" التالية :

– أنّه فعل استجابي – لا ابتدائي – إذ يصدر من صاحبه كَرَدٍّ فعل على قولِ خصم.

– أنّه فعل إدباري – لا إقبالي – حيث يتّجه أثره إلى ما سبق من الكلام لا إلى ما يأتي منه.

– أنّه فعل استشاري – لا استِبدادي – ذلك أنّه لا يستمدّ مشروعيته من سلطان"المعترض"، وإنما من اعتراف "العارض" به.

– أنّه فعل تقويمي، ذلك أنّ "المعترض" يتّخذ من قولِ "العارض" موقفا ملتزما وموجَّها.

– أنّه فعل تشكيكي، إذ يراجع "المعترض" خصمَه في دعواه بمطالبته بالتدليل أو بإبطال دليله.

– أنّه فعل سجالي – لا وصفي – لأنّ النفي الوصفي يُخبر بارتفاع النسبة الحُكْمِيّة بين الموضوع والمحمول، مثله في ذلك مثل الإخبار بوقوع هذه النسبة في حين أن النفي الاعتراضي ادّعاء بمنازعة قول "المعارض".

طه عبد الرحمان. "في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"
المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ط2/2000 ص ص 42–43

2– تعريف الحجّة

لغة : الحجّة هي البرهان الّذي به دُوفع الخصمُ وهي الوجهُ الذي يكون به الظَّفر عند الخصومة. (لسان العرب)

اصطلاحا : الحجّة كلُّ ملفوظ (فِكرة، حادثة، فِعْل) يقوم دليلا لِدعْم أطروحةٍ أو دَحْضِها ويفضي إلى استنتاج، ذلك أنّ الحجّة عند دِيكْرُو (Ducrot) لا تكون حجّة إلاّ في علاقتها بالنّتيجة.

أنواع الحجج : يمكن أن تتنوّع الحجج باعتماد منطلقاتها :

– حجّة الإحالة إلى الواقع

– حجّة المثل

– حجّة الشاهد القولي : أو بمعناه (حديث الأنبياء، قرآن، شعر ...)

– حجّة السلطة : وهي حجّة تغْدُوها هيبة المتكلّم ونفوذه وسطوته. فقد تكون السّلطة الإجماع أو العلماء (التعريف).

– حجّة الحدّ

– الحجّة المنطقيّة أو شبه المنطقيّة : يمكن أن تبُنى على أساسِ الرّبط بين السّبب والنّتيجة أو على أساس القياس فيتمّ الربطُ فيها بين المقدّماتِ والنتائج.

كتاب "التدريب على الإنشاء. الحجاج" تأليف مجموعة
من المتفقدين والأساتذة. دار سيراس للنشر 2000 ص ص 69–70

النّصّ عدد 2

العقـل هو الحجّة

التمهيد

مسألةُ ثنائية الخير والشرِّ مسألة قديمة قِدَمَ الكون تناولها الفلاسفةُ القدامى والمحدثون ونَظَرَ فيها المفكرون المسلمون فأرجعها بعضُ علماء الحديث إلى إرادة الله وجعل منها المعتزلةُ نظرية وسمَّوْها بنظرية الحُسْن والقبح العقليين. فالحُسن هو الخير والقبح هو الشرّ وأرجعوها إلى حكمة الخالق في أنّ المصلحة تقتضي امتزاج الخير بالشّر على أنّه أعان الإنسانَ على الاختيار وسهّل له معرفةَ سبل الخير وذلك بما منحه من العقل الذي هو معيار الخير والشرّ ومقياس الحسن والقبيح .

اعلم أنّ المصلحة(1) في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مُدَّتها امتزاجُ الخيرِ بالشرّ والضارّ بالنافع والمكروهِ بالسارّ والضّعةِ بالرّفعة والكثرةِ بالقِلَّة.

ولوكان الشرُّ صِرْفا هلك الخلقُ، أو كان الخيرُ محْضًا سقَطت المِحْنة(2) وتقطّعَتْ أسبابُ الفِكرة(3). وَمَع عَدَم الفِكرةِ يكون عَدَمُ الحكمة، ومتى ذهبَ التخيير(4) ذهب التمييز، ولم يكن للعالِمِ تثبُّتٌ وتوقُّف وتعلُّم، ولم يكن علمٌ، ولا يُعرف باب التبيُّن ولا دفعُ مَضرَّةٍ ولا اجتلابُ منفعة ولا صَبْرٌ على مكروهٍ ولا شكْرٌ على محبوب ولا تفاضُلٌ في بيانٍ ولا تنافس في درجةٍ، وبَطُلت فرحةُ الظّفَر وعِزُّ الغلبة، ولم يكن على ظهرها مُحِقٌّ(5) يجد عزَّ الحقّ(6)، ومبطِلٌ يجد ذلَّة الباطل، ومُوقِنٌ يجد بَرْدَ اليقين وشاكٌّ يجد نقصَ الحيرةِ وكرْبَ(7) الوُجوم، ولم تكنْ للنفوس آمالٌ ولم تتشعّبْها(8) الأطماعُ. ومَنْ لم يعرف كيف الطّمعُ لم يعرف اليأسَ ومَنْ جهل اليأس جهلَ الأمنَ، وعادت الحالُ من الملائكة الذين هم صفوةُ الخلْق ومن الإنس الذين فيهم الأنبياءُ والأولياءُ، إلى حالِ السّبُعِ والبهيمة وإلى حال الغباوة والبلادة وإلى حال النجوم في السُّخْرة(9) فإنها أنقصُ من حالِ البهائم في الرتْعةِ. ومَنْ هذا الذي يسرُّه أن يكون الشمسَ والقمرَ والنّارَ والثلج، أو برجا من البروج أو قطعة من الغيم، أو يكونَ المجرّةَ بأسْرها أو مكيالا من الماء أو مقدارا من الهواء ؟ ! وكلُّ شيءٍ في العالم فإنّما هو للإنسان ولكلّ مختبَرٍ ومُختار، ولأهل العقول والاستطاعة(10)، و لأهل التبيّن والرويّة.

وأين تقعُ لذّة البهيمة بالعَلُوفة(11) ولذّةُ السبع بلَطْعِ(12) الدّمِ وأكلِ اللحم مِنْ سرورِ الظّفَر بالأعداء ومن انفتاح بابِ العلم بعد إدْمان القرْع ؟

وأين ذلك مِنْ سرور السُّؤْدَد ومن عِزّ الرياسة ؟ وأين ذلك من حال النبوّة والخلافة ومِنْ عِزِّهما وساطعِ نورهما ؟ وأين تقعُ لذّةُ درْك الحواسّ الذي هو ملاقاةُ المطعَم والمشرب وملاقاةُ الصوتِ المُطربِ واللّونِ المونق والملمسة الليّنة مِنَ السرور بنفاذ الأمرِ والنّهي وبجواز التوقيع وبما يُوجب الخاتَمُ من الطاعة ويُلزِم من الحجّة ؟ !

ولو استوت الأمورُ بطَلَ التَّمْييزُ، وإذا لم تكن كُلْفةٌ لم تكن مَثوبة. ولَوْ كان ذلك لبطلتْ ثمرةُ التوكُّل على الله تعالى واليقين بأنّه الوزَرُ(13) والحافظ والكالئ والدافع وأنّ الذي يحاسبُك أجْوَدُ الأجْوَدِين، وأرحَمُ الراحِمين وأنّه الذي يقبلُ اليسيرَ ويهبَ الكثير ولا يهلك عليه إلاّ هالِكٌ. ولو كان الأمرُ على ما يشتهيه الغريرُ والجاهلُ بعواقبِ الأمور لَبطلَ النّظرُ وما يشحذ عليه وما يدعو إليه ولتعطّلت الأرواحُ من معانيها والعقولُ من ثِمارها ولَعدِمت الأشياءُ حظوظَها وحقوقَها.

فسبْحانَ من جعل منافعَها نعمةً ومضارَّها ترجع إلى أعظم المنافع وقسّمها بين مُلِذٍّ ومُؤلم وبين مؤنسٍ ومُوحش وبين صغيرٍ حقير وجليل كبير وبين عدوٍ يرصُدُك وبين عقلٍ يحرسك وبين مُسالمٍ يمْنَعُكَ وبين مُعينٍ يعضُدك وجعَل في الجميع تمامَ المصلحة وباجتماعها تتمُّ النعمة وفي بطلان واحدٍ منها بُطلان الجميع، قياسا قائما وبرهانا واضحا. فإنّ الجميعَ إنّما هو واحدٌ ضُمّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضُمَّ إليهما، ولأنّ الكلَّ أبعاضٌ ولأنّ كلّ جثّةٍ فمِنْ أجزاء. فإذا جوّزتَ رفْع واحدٍ والآخرُ مثلُه في الوزن وله مثلُ علّته وحظّه ونصيبه فقد جوّزتَ رفْعَ الجميع لأنّه ليس الأوّلُ بأحقَّ من الثاني في الوقت الذي رَجَوْتَ فيه إبطالَ الأوّل والثاني كذلك والثالث والرابع حتّى تأتي على الكلّ وتستفرغ الجميعَ.

كذلك الأمورُ المضمَّنة والأسبابُ المقيّدة. ألا ترى أنّ الجبلَ ليس بأدلَّ على الله تعالى من الحَصَاةِ، وليس الطاوسُ المستحسنُ بأدلَّ على الله منْ الخنزيرِ المستقبَح. والنارُ والثلج وإنْ اختلفا في جهة البرودة والسُّخونة فإنّهما لم يختلفا في جهة البرهان والدّلالة.

وأظنّك ممّن يرى أنّ الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب وأنّ التَّدْرُجَ(14) أعزُّ على الله تعالى من الحِدأةِ(15) وأنّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئب. فإنّما هذه أمورٌ فرّقها الله تعالى في عيون الناس وميّزها في طبائع العباد فجعل بعضَها بهم أقربَ شَبَهًا وجعل بعضَها إنسيّا وجعل بعضَها وحشيّا وبعضها غاذياً وبعضها قاتلا. وكذلك الدُّرَّة والخَرزة والتمرة والجمرة.

فلا تذهبْ إلى ما تريك العينُ واذهبْ إلى ما يريك العقل.

وللأمور حكمان : حُكْمٌ ظاهرٌ للحواسِ وحكمٌ باطنٌ للعقول. والعقل هو الحجّة.

الجاحظ كتاب الحيوان الطبعة نفسها
الجزء الأوّل ص ص 204 / 207

الشرح

1) **المصْلحة** : مصدر ميميّ متعلّق بصلَحَ يَصْلُحُ صَلاحًا وصُلُوحًا : ما يبعث على الصّلاَح. ج مَصَالِحُ.
2) **المحْـنة** : ج محنٌ : البلاءُ والشدّة. مَحَنْتُه وامْتحنْتُه : خبَرْتُه وجرّبْتُه وبَلَوتُه. أصلُ المحْن : الضربُ بالسّوطِ.
3) **الفِكْرَةُ** : إعمالُ الخاطر في الشيء. فَكَّرَ في الشيء وتفكَّرَ وأَفْكَرَ : أعْمَلَ الخاطِرَ.
4) **التّخييرُ** : خيّرْتُه بيْن الشيْئيْن : فوّضْتُ إليه الخِيارَ .
5) **مُحِقّ** : اسم فاعل متعلّق بأحقّـهُ : أثْبتَهُ وصار عنده حَقًّا لا يشكّ فيه. أحقَّهُ : صيّرهُ حقّـا.

6) **الحـقّ** : في اللغة : الثابتُ الذي لا يسُوغُ إنكارُه. وفي الاصطلاح : الحُكْمُ المطابق للواقع، ويُطلقُ على الأقْوَال والعقائد والأدْيان والمذاهب. يقابلهُ الباطلُ (التعريفات للجرجاني ص 89)

7) **الكَرْبُ** : كَرَبَ يكْرُبُ كَرْبًا الأمرُ الشخْصَ : اشتدّ عليه وثقُلَ. الكرْبُ ج كُرُوب : حزْنٌ وغمٌّ يأخذان بالنّفْس.

8) **لم تتشَعَّبْها** : تَشَعَّبَ : آنْتَشَرَ وتفرَّقَ.

9) **السُّخْـرَةُ** : سَخَرْتُه : قَهَرْتُـه وذللتُـهُ. السُّخْرةُ : ما تسخَّرْتَ من دابةٍ أو خادم بلا أجرٍ ولا ثمنٍ. النُّجُومُ مسخَّرات: جاريات مَجاريَهُنَّ.

10) **الاسْتِطَاعَة** : مصدر متعلقٌّ باستطاعَ (جذره ط و ع). استَطَاعَ الأمرَ : أطَاقَهُ وقَوِيَ عليْهِ. والاستطاعة : الطاقَةُ. القدرة على الشيء. والاستطاعة اصطلاحا عَرَضٌ يخلقه اللهُ في الحيوان يفْعلُ به الأفعالَ الاختيارية. (التعريفات للجرجاني ص 19)

11) **العَلُوفَةُ** : ج عُلُفٌ : طَعام الحيوان.

12) **لَطْـع** : لَطَع يلْطَعُ لَطْعًا الشيء : لَحِسَهُ . لَطَعَ الكلبُ الإناءَ.

13) **الـوَزَرُ** : الملجأ والمُعْتصَمُ.

14) **الـدَّرْج** : جِنس طير من فصيلة الدّجَاجِيات، يكونُ بأرض فارسَ.(faisan)

15) الحِدَأَةُ : ج : حِدَأٌ وحِداءٌ وحِدْآن : طائِرٌ من الجوارح من الفصيلة الصّقريّة ينْقضّ على الجُرْذان والدّواجن.(Milan)

الفهم والتحليل

1– بنية النصّ حجاجية، حدّد مكوِّناتها (الأطروحة / سيرورة الحجاج / النتيجة).

2– يفترض الحجاج لغةَ مواجهة بين طرفين. هل توفّرت في هذا النصّ ؟ وهل حمل المُحاجّ المتقبِّلَ على الاقتناع ؟

3– يطرح الجاحظ قضية كلاميّة هي امتزاج الخير بالشرّ. لِمَ تبنّى الجاحظ الدفاع عنها ؟ ولِمَ يعتبر هذا الامتزاج أمرا ضروريا في الحياة ؟

4– بمَ تفسّر كثرة استعمال تركيب الشرط [لو – مَنْ خاصة] وأسلوب الاستفهام [فأين] ؟

5–جاءت الحجج تحليلا للأطروحة، وضّح ذلك.

6– يطغى على النّص خطاب تعليمي. ما صلتُهُ بالحِجاج ؟ ما حظّ العقل فيه ؟ استخرج العبارات والأساليب الدالة على ذلك وبيّن الغاية منها.

7–استخرج من النّصّ ما يشير إلى بعض أصول المعتزلة ومذهبهم.

النقاش

- قال الجاحظ :"العقل هو الحجة " : إلى أيّ حدّ يمكن أن يكون العقلُ حجَّةً في مثل هذه المسائل الكلامية ؟
- هل توافق الجاحظ على أنّه "لو كان الخير محضا سقطتْ المحنةُ وتقطعت أسباب الفكرة" ؟ توسّع في هذا الرأي عِلْمًا أنّ مسألة الخير والشرّ مسألة فكرية قديمة.

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	**أ– الشرط** ■ في النصّ تكثيف لاستعمال تراكيب الشرط. والشرطُ تركيب يعلّق فيه المتكلّمُ حدثا بحدث تعليقا شرطيا أحدهما رئيسي والآخر ثانوي. يتحقّقُ الأول منهما فيتحقّق الثاني أو لا يتحقق الأول فلا يتحقق الثاني. ■ قد نستعمل حرف الشرط (لو) لافتراض حدث رئيسيّ امتنع وقوعُه لامتناع وقوع الشرط (الحدث الثانوي). ■ وقد يدلُّ اسمُ الشرط (مَتىَ) على حالة مفترضة ممكنة الوقوع في المستقبل ينجرّ عن افتراضِ وقوعها افتراضُ وقوع حدث رئيسيّ ممكن. وتركيب الشرط يدلّ على الإمكان كما يدل على الافتراض والاستنتاج. وقَدْ يُهْدَفُ منه إمّا إلى التعميم أو التخصيص أو مجرّد الافتراض، ويستثمره المحاجّ لدعم أطروحته أو دحض أطروحة الخصم أو لتحقيق الحجّة بالخُلْفِ أو البرهان بالسّلب. مثال في التعميم "من جهل اليأس جهل الأمن" وفي الافتراض "لو كان الشرّ صرفا هلك الخلق". – انظر في بعض تراكيب الشرط في النصّ وتبيّن كيف يمكن أن تدعم أطروحة المحاجّ. **ب– الاستفهام** "مَنْ" و "أيْن" : من أسماء الاستفهام. يفيد الاستفهامُ على وجهه الأصليّ الاستخبارَ وقد يفيد معاني أخرى تُفهم من السياق كالإنكارِ والاستبعاد. ■ الإنكار : هو استفهامٌ يفيد موقفا هو للمتكلِّمِ مِنْ سامِعه، يتمثّل في أنّه لا يقبل منه مضمونَ ذلك الاستفهام . ■ الاستبعاد : استفهامٌ يدلُّ على أنّ المتكلمَ يستبعد مضمونَ كلامِه في الحدوث أو المكان أو الزمان. الأزهر الزناد "دروس في البلاغة العربية " المركز الثقافي العربي 1992 ص ص 115–116 لتبيّن علاقة الاستفهام بالحجاج انظر : (تنوير في الحجاج 1 من أنواع السؤال)
البلاغة	**الطباق والمقابلة** : يقوم الطباق والمقابلة على الجمْع بين مدلولين متضادّين في قول واحد. إذ كان المتضادّان مُحقّقيْن من لفظين مفردَيْن فهو الطّباق وإذا كانا في مركّبين قابلين للانحلال إلى مجموعات من الألفاظ المتقابلة فهو المقابلة. **تَضافُر الطباق والمقابلة** : فصَلَ الدرسُ البلاغي بين الطباق والمقابلة وهو فصلٌ يعتمد عدَدَ الأطراف المتقابلة ولكنَّ ذلك لا يعني أنهما يختلفان في توليد المعنى في التركيب." عن الأزهر الزناد " دروس في البلاغة العربية" المركز الثقافي العربي ط 1/1992ص ص 172-178 في النصّ تكثيف لاستعمال الطباق والمقابلة، وهذا يتناسب مع الموضوع المطروح ". والمقابلة بين المعاني"من الأساليب اللغوية الحجاجية.
الحقل المعجمي	استخرج معجم العَقْل الوارد في النصّ. واستثمر ذلك في فهم آراء الجاحظ.

تنويـــر

مـن آراء الـجاحـظ

1– في العقل والمعرفة والاستطاعة

" وإنّما الشأنُ في العقل والمعرفة والاستطاعة. أَفَتظنّ أنّ الله عزّ وجلّ يخصّ بهذه الخصال بعضَ خلقه دون بعضٍ ثم لا يطالبهم إلاّ كما طالب بعضَ منْ أَعْدَمَه ذلك وأَعْرَاه منه ؟! فَلِمَ أَعْطَاهُ العقلَ إلاّ للاعتبار والتفكير؟ ولِمَ أَعطاه المعرفةَ إلاّ ليُؤْثِرَ الحقّ على هواه ؟! ولِم أعطاه الاستطاعةَ إلاّ لإلزام الحجّة؟! ."

الجاحظ الحيوان. ج 5 ص 543 /544

2– **الحكم القاطع للذهن**

"ولَعَمْرِي إنّ العيونَ لتُخْطِئُ وإنّ الحواسَ لَتَكْذِبُ، وما الحكمُ القاطعُ إلاّ للذهن ومَا الاستبانةُ الصحيحةُ إلاّ للعقلِ إذْ كان زماما على الأعضاءِ وعِيَارًا على الحواس.

رسالة التربيع والتدوير ضمن رسائل الجاحظ (الرسائل الأدبية) دار مكتبة الهلال ط1/1987 ص 436

فـي الاعتـزال

1– **تبرير وجود الشرّ**

الصبرُ لا يكون إلاّ على مكْروه حلّ بنا ومُصيبةٍ أصابتنا، من هنا نتدرّج إلى نظرية خطيرة من نظريات الاعتزال، وهي تبرير وجود الشر، لا بتبرير مَشيئة الخالق كما يفعل أهلُ السنّة ولكنْ بالاعتماد على العقل حسَب القياس التالي :

أ– لا يكون الإنسانُ من الصالحين حتىّ يُظْهِر مقدار صبره على ما أراده الله به.

ب– والصبرُ لا يكون إلا على المكارهِ والشرور.

ج– إذن فالمكارِهُ والشرورُ واجبة ضروريةٌ ونافعة لنا من هذه الناحية.

محمد اليعلاوي. أشتات في اللغة والأدب والنقد دار الغرب الإسلامي ط1 /1992 ص 191

2– **الإنابة والنيابة**

"ويمكن أن نعود إلى أيّ تفسير سنّي في أية مرحلة كانت فإنّنا سنصل إلى نتيجة واحدة هي صورة الإنسان خليفة لله بمعنى الإنابة. وإذا أمْعَنَّا النظرَ في التفسير الاعتزالي من خلال النبذ المتوفرة فإنّ صورة الإنسان تهب الخلافة معنى آخر هو النيابة. ويمكن أن نتدبّر الفرق بين الصورتين باستحضار المسافة الدلالية المتنائية. الإنسان عند الجاحظ مُسْنَد إليه، هو غايةُ الكلام في الرسالة. والإطارُ المرجعي المحيطُ به مَنوطٌ بعليّة بديهية "من أجله". وهو محيط كليّ يجمع بين السماوات والأرضين وما بينهما. هو بالمنطق التقليدي العالم الكبير. والإنسان هو العالم الصغير ... وجهُ الإجراءِ النهوضُ بمعنى النيابة حسب القواعد المعروفة عند أهل الاعتزال. ولعلّ أبرزها في هذا السياق مبدأ العدلِ. ويقابل هذه الصورة معنى آخر جرى عند أهل السنّة على "الإنابة" وعلى الكسب بصفة أدقّ.

نحن إزاء قراءتين الأولى عند الجاحظ ترصُد أفعال الإنسان وموضِعَهُ في الكون وعلاقتَه بالعالم بدءا بالإنسان انطلاقا نحو الله، فالخلقُ تامّ منجز من فوق وهو من تحت يحتاج إلى النظر وإلى البصيرة فبدا العقل مطيّة ضرورية للنظر."

كمال عمران. من مقال بكتاب " في أنماط النصوص" دار سيراس للنشر 2002 ص ص 93–94

المفـاهيم

1– الخير والتصوّر الموضوعي لـه

■ الخير هو أساس مَبْحَثِ الأخلاق، وهو غرضُ أفعالِ الإنسان جميعِها كما جاء في كتـاب أرسطوطاليس " الأخلاق إلى نيقوماخوس" حيث يقول : " كلُّ الفنون وكل الأبحَاث العقلية وجميعُ أفعالنا وجميعُ مقاصدنا الأخلاقية تُظهِر أنَّ غرضها شيء من الخير نرغب في بلوغه. وهذا ما يجعل تعريفَهم للخير تامًا إذا ما قالوا إنه موضوع جميع أفعالنا ".

والخير يقالُ مُقابلَ الشر، ويقصد به الفعلُ الذي يحقّق الرضا والإشباعَ لما فيه من نفع أو مصلحة أو ما يجلبه من لذة وسعادة أوْ لاتِّفاقه مع القواعد الإلهية.

■ التصور الموضوعي : الخير في هذا التصوّر مبدأ عام، مطلق، ثابت في كلّ مكان وزمان فهو عند أفلاطون (428–348 ق.م) ذروةُ العالم المثالي والمبدأُ الأسمى الذي يُنظِّم الموجودات. وأفلاطون يضع الخير فوق الوجود، ويرى أنَّ كل الغايات تنتمي إلى درجة واحدة تصاعدية بفعل حبّ موضوع سَامٍ هو الخير الأقصى. ونستطيع أن نميّز بين مستويين للخير عند أفلاطون. الخير الأقصى مثالُ الخير والخير الإنساني هو خيرٌ محسوسٌ ينتمي إلى مجال حياة الإنسان الواقعية. ومع اختلافات طفيفة نجد هذا التصوّر لدى أرسطو (384–322 ق.م) ولدى القِدِّيس تُومَا الأَكْوِيني (1225–1274 م) الذي يعتقد أنَّ كل عمل أو حركة موجّهةٌ نحوَ كلّ غاية أو خير ما. ويتمثّل هذا الخيرُ عند الكائنات الناطقة في التفكير. واللهُ وحدَه هو السبب والعلّة الأولى لكلّ موجود والمبدأُ الثابت لكلّ حركةٍ، ونحوَهُ تتّجهُ كلُّ الموجودات بحقٍّ وهي تنشد الخير. فالخيرُ الأقصى للإنسان هو الله.

الموسوعة الفلسفية العربية دار الإنماء العربي

المجلد الأول في المصطلحات والمفاهيم ط1 / 1986 ص 417

2– الخير والشرّ العقليان

"يمكن أن نعرض لمفهوم الخير في الفكر العربي الإسلامي الذي يَتَبَيَّنُ في موقف المعتزلة خاصة في نظرية الحُسْن والقُبْحُ العقلَيْين. فالحسنُ هو الخير، والقبحُ هو الشرّ. وهما عند المعتزلة، أهل العقل والتفكير الحرّ في الإسلام، خصائصُ للأشياء نتوصَّل إليها عقلا لأنّها عامة وكلّية. ولكي نعرض موقفهم سنتعرّض أولا للموقف المضادّ عند أهل السَّلَف وعلماءِ الحديث الذين أرجعوا الخير والشرّ إلى إرادة الله. فالخيرُ هو ما حَسَّنه الشرعُ وأثنى عليه ، والشرُّ ما قبَّحه الشرعُ ونَفَّرَ منه. وعلى ذلك، فلو أمر الشارعُ بالكذب لكان خيرا ولو نهى عن الصدق لكان شرّا. وعند المعتزلة : في الأفعال سِماتٌ وخصائصُ ذاتية تجعلها خيرا أو شرًّا ، والله يأمر بالخير لأنه حسن في ذاته، وَينْهَى عن الشرّ لأنه في ذاته قبحٌ. وعلى ذلك، فالعقلُ بطبيعته استطاع أن يميّز بين الخير والشرّ قبل وُرود الشرعِ بهما."

الموسوعة الفلسفية العربية دار الإنماء العربي

المجلد الأول في ط1 / 1986 ص 418

في الحجـاج

1– من أنواع السؤال

«السؤال كما يُبيّن رُوَبْرِيُو Robrieux ذو قـوّةُ حجاجيّة تُعادِل ما في القِيَم والمواضِع المشتركةِ التي يتوسّلها المحاجُّ لحمل مُخاطَبه على الاقتناع بما يقوله له أو استمالتِه والتأثيرِ فيه باعتماد صُنوف من الحِيَل لعلّ أهمّها فنونُ إلقاءِ السؤال. وفي هذا الإطار يميّز صاحبُ "عناصر البلاغة والحجاج" بين نوعين من الأسئلة : الأسئلة الجدلية والأسئلة السّجاليّة.

* **الأسئلة الجدلية** :(Les questions dialectiques)مقصدُها الإقناعُ واستمالةُ المخاطَب دون عنف ومنها السؤالُ البلاغيُّ وهو سؤال لا يحتاج إلى إجابة فهو إثباتٌ مقنَّعٌ تقوم استراتيجيةُ الخطاب فيه على استدراج الآخر إلى جواب نهائيّ، ومنها **السؤال الاقتضائي** (La question à présupposition) وهما سؤالان في سؤال كأَنْ يطرح رجلُ المباحثِ على المتّهم هذا السؤال : هل ترتاد ذلك المكان دائما ؟ ففي الإجابة عنه بالنفي أو بالإثبات معنى اقتضائيّ حاصِل يختفي تحت ظلال الملفوظ ويقع بعيدا عن دائرة الشكّ والنفي وهو أنّ المتّهمَ يرتاد المكانَ المذكور. ومنها **السؤال المتعدّد** وَقوامُه الاسْتتْباعُ إذ ينشأ عن الإجابة بالنفي أو بالإثبات سؤالٌ أو أسئلة أخرى موصولةٌ به متولّدة منه. "وإلى هذا النوع ينتمي السؤال المضادّ وهو سؤال يلجأ إليه المخاطَبُ في ردّه على السؤال الملقى عليه."

عبد الله البهلول.

من مقال "بلاغة الجواب أو عندما يسأل الأديب". مجلة القلم عدد 13 السنة 2006 ص 87

2- الحقّ في الحجاج

"لا يمكن أن نتحدّث عن "حجاج" إلاّ في مجتمع يقبل بالحدّ الأدنى من الحرّيات الفكرية ويلتزم بضوابط منطقية تُسَيّرُه. وعندما نجد مُجْتَمعا يغلب عليه الإكراهُ يستخدم الحجاجَ كيْ يدافع عن قناعاته ومعتقداته فقط فإنّ ذلك يُعتبر تراجُعا أمام استعمال العقل وما يتعلّق به من حوار ونقاش على عكس ما يُتيحُه الحجاج.

وفي المجتمعات الحديثة تدلّ المساحة التي يحتلّها الحجاجُ في منابر الفضاءات العامّة على المكانة التي اكتسبتْها حريّةُ التعبير والفعْل في تلك المجتمعات ...

لكنْ حتّى في المجتمعاتِ الحديثة فإنّ الحجاج ليس تمشّيا يمكن أن يمارس بحرية تامّة في كلّ حين ومن قِبَل أيّ كان وحول أيّ موضوع ... وكَكُلّ طرائق التعبير عن الرأي فإنّ الحجاج لا يستقيم لهُ أمرٌ إلاّ إذا ما اتّفِق مسّبقا على إقامة حوارٍ ومُنِح مَنْ يرغب في الدفاع عن موقفه وتبريرِه حقَّ المساهمة في هذا الحوار".

عن بيار أوليرون (Pierre Oléron)

الحجاج سلسلة ماذا أعرف ؟ عدد 2087 – ط 2 /1987 ص ص 17–18

"المعرفة التي متى تجلّت لك تصاغر عندك كبير ما تستعظم"

صورة للأسد وابن آوى من "كليلة ودمنة" من كتاب العلوم في الإسلام دار الجنوب للنشر. تونس 1978

النّصّ عدد 3

هل الأخبار حُجّة ؟

التمهيد

كثيرا ما كان الجاحظ يجعل من الحجة والدليل والشاهد والبرهان أشياء مترادفة ومتطابقة. يقول في (البيان والتبيين م 3 ص 102) «.. والدليلُ على ذلك والشاهدُ الصادق والحجةُ القاطعة أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم كان لا يكاد يُرى إلا مقنّعا». وهنا يُصبح الدليلُ أو الحجة متمثليْن في أقوال يستدلّ بها ولا يطالها الشكّ.

فإنْ قال قائل : إنّ الحجّة لا تكون حُجّةً حتى تُعجِز(1) الخليقةَ(2) وتخرُج من حدّ الطاقة كإحياء الموتى والمشي على الماء وكفَلْقِ(3) البحر وكإطعام الثمارِ في غير أوان الثمار وكإنْطَاق السّباع وإشباعِ الكثير من القليل، وكلِّ ما كان جِسما مخترعًا وجِرْما مبتدعا، وكالذي لا يجوز أن يتولاّه إلاّ الخالقُ ولا يقدر عليه إلا الله عزّ وجلّ ذكْرُه، فأمّا الأخبارُ التي هي أفعالُ العبادِ وهم تولّوْها وبهم كانتْ وبقَوْلِهِمْ حَدَثَتْ فلا يجوز أن تكون حجةً إذْ كان لا حجّةَ إلا ما لا يقدر عليه الخليقةُ وما لا يُتوهَّم(4) من جميع البَرِيَّة، قلنا إنّا لم نزعم أنّ الأخبار حجّةٌ فيحتجّوا علينا بها وإنّما زعمنا أنّ مجيئها(5) حجةٌ، والمجيءُ ليس هو أمر يتكلّفه الناسُ ويختارونه على غيره. ولو كان كذلك لكانوا متى أرادوه فعلوه وتهيّئوا له، ولَفعلوه في الباطل كما يجيء لهم في الحقّ. والمجيءُ أيضا ليس هو فعلا قائما فيستطيعوه أو يعجزوا عنه، وإنّما هو أنّ الإنسان يعلم أنّه إذا لَقِي البَصْرِيين فأخبروه أنّهم قد عاينوا بمكةَ شيئًا ثم لَقِي الكوفيين فأخبروه بمثل ذلك، أنّهم قد صدقوا، إذ كان مِثلُهم لا يتواطأ على مِثل خبرهم على جَهْلِهِمْ بالغَيْبِ وعلى اختلاف طبائعهم وهِمَمِهم وأسبابهم. فليس بين هذا وبين إحياءِ الموتى والمشي على الماء فرقٌ، إذْ كان الناس لا يقدرون عليه ولا يطمعون فيه. والمجيءُ إنّما هو معنى معقولٌ وشيءٌ موهومٌ(6) إذا كان وكيف يكون. ومعلومٌ أنّ الناس لا يمكنهم أن يقدروا عليه ولا يستطيعون فعلَه، وإنّما مَدارُ(7) أمرِ الحجّة على عجز الخليقة. فمتى وجدتَ أمرا ووجدت الخليقةَ عاجزةً عنه فهو حجّةٌ ثم لا عليك جوهرا(8) كان أو عرضًا(9) أو موجودا أو متوهَّمًا. أَلاَ ترى أنّ فلْق البحر ليس من جنس اختراع الثمار ؟ ! لأنّ الفلْقَ هو انفراجُ أجزاءٍ والثمارَ أجرامٌ حادثة، وكذلك لَو ادّعى رجل أنّ اللّه عزّ وجلّ أرسله فجعل حجّتَه علينا الإخبار بما أَكَلْنَا وادّخرنا وأضْمَرْنَا لكَان قد احتجّ علينا.

الجاحظ. الرسائل تحقيق عبد السلام هارون الجزء الثالث ص ص 259 / 261

الشرح

1) **تُـعْجِز** : أَعْجَزَهُ الشّيءُ : لم يقدر عليه.
2) **الخليقة** : الخَلْقُ ، الناسُ. يقال : هم خليقَـةُ الله. ج. خلائِقُ.
3) **فَلْـق** : مصدر متعلّق بفَلَقَهُ يفْلِقُه : شقَّهُ. وفي الحديث «يا فالِقَ الحَبِّ والنَّوى».
4) **يتوَهَّمُ** : تَوَهَّمَ الشيءَ : تَخَيَّلَهُ ، كان في الوجود أو لم يكنْ. تَوَهَّمَ : ظَنَّ.
5) **مجيئها** : مصدر ميميّ متعلّق بجاءَ : الإتْيـانُ
6) **مَوْهُوم** : اسم مفعول متعلّق بوَهمْتَ إلى الشيء إذا ذهب قلبُك إليه وأنت تريد غيره.
7) **مَـدَار** : ج مدارات : المدارُ موضع الدوران : صيغـة اسم المكان وهي كذلك صيغـة المصدر الميمي(مَفْـعَل) : ما يدور عليه الأمرُ.
8) **جوهر** : ج جواهر. جوهرُ الشيء : حقيقتُه وذاتُه. وفي الفلسفة : ما قام بنفسه ويقابله العرَضُ وهو ما يقوم بِغيره.

الفهم والتحليل

1–ما الخطة الحجاجية التي رسمها الجاحظ لإقناع الآخر بوجاهة موقفه من الأخبار ؟
2–ما مفهوم الحجّة عند الخصم ؟ وهل يوافقه الجاحظ على هذا المفهوم ؟
3–ميّز الجاحظُ الحجّةَ من «مجيئها» : هل ساعده ذلك على الإقناع ؟
4–حدّد القضية الفكرية التي أثارها النصّ. وما هما التوجُّهان اللّذان ظهرا في كيفية التعامل معها ؟
5–ما خصائصُ الأخبار التي يمكن اعتبارها – حسب الكاتب – حجّة يحتجّ بها ؟
6–حدّد نمطَ الخطاب (تعليمي/سجالي/جدلي) بدراسة العلاقة بين المتحاوريْن (اسْتعِنْ بالضمائر والأفعال..)

النقاش

- بقدر ما ضَيّق الطرفُ الأوّل في مفهوم الحجّة سعى الجاحظُ إلى توسيعه. هل توافقه على ذلك ؟ وهل ترى في هذا التوجّه دعوة إلى استعمال العقل ؟
- نحن نَعيش الآن ثورة إعلامية معرفية. هل ترى أنّ منهج الجاحظ مازال صالحا لتمييز أيِّ الأخبار يمكن اعتبارها حجّة ؟
- الحجّة عند البعض لا تكون حجّة إلاّ في علاقتها بالنتيجة. هل ترى مفهوم الحُجّة لدى الجاحظ قريبًا من هذا التعريف ؟ ماذا تستنتج ؟

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	**أ– إنّمَا** : أداة قصر – مثال"وإنَّمَا الأممُ الأخلاقُ مَا بَقيتْ فإنْ هُمُ ذهبتْ أخلاقُهمْ ذهبُوا". (شوقي) إنّما ← تقارب في المعنى مَا ... إلاَّ * "اعلم أنّ موضوع (إنّما) عَلَى أَنْ تجِيءَ لِخَبَرٍ لاَيَجْهَلُهُ المخاطَبُ ولا يَدْفَعُ صِحَّتَهُ أو لما يُنَزَّل هذه المنزلةَ. تقول للرجل : إنّما هو أَخوكَ وإنّما هو صاحبُك القديمُ ، لا تقوله لمَنْ يجهل ذلك ويدفع صحّته ولكنْ لمن يَعْلَمُهُ ويُقرُّ به. إلاّ أنك تُريد أن تُنَبِّهَه للّذي يجب عليه من حقِّ الأخ وحرمة الصَّاحِبِ (إنّما هُوَ صاحبُك). **تبيّن مواطن استخدامها في النصّ والغَرض منه.**

	ب– **أمَّا** : حرف تفصيل وتوْكِيد : * التفصيل : هو غالبُ أحوالها : "أمَّا السَّفِينَةُ فكانَتْ لِمَسَاكِينَ." * التوكيدُ : " فائدة أمّا في الكلام أ نْ تعطيه فَضْلَ تَوْكيد : "أمّا زَيْدٌ فَذَاهِبٌ " ابن هشام. مغني اللبيب ج 1 ص 56–58 ج– **حرف الجرّ الكاف** : تواتر هذا الحرف في النص "كإحياء الموتى ... وكفَلْق البحر... وكإطعام الثمار..." أفاد هذا الحرف وحرف الواوالتعديد. تبيّن قيمتَهُ في الحجاج. ويفيد حرف الكاف أيضا **التشبيه**.
الحقل المعجمي	ابحث في معاني كلمة"خبر".

تنويـــر

مـن آراء الجاحــظ

سماع الأخبار مَشْحَذة للأذهان

يقول الجاحظ : "إنَّ كثرة السماع للأخبار العجيبة والمعاني الغريبة مَشْحَذَةٌ للأذهان ومادةٌ للقلوب وسبب للتفكير وعلّةٌ للتنقير عن الأمور. وأكثرُ الناس سماعا أكثرُهُم خواطر، وأكثرُهم خواطر أكثرُهم تفكّرا، وأكثرُهم تفكرا أكثرُهم عِلْما، وأكثرهم علما أرْجَحُهم عمَلا ... وعلى قدرِ شدّةِ الحاجة تكون الحركةُ، وعلى قدر ضعف الحاجة يكون السكونُ."

من كتاب حجج النبوة. رسائل الجاحظ ص ص 135–136

فـي الأثـــر

1– التعويل على الثّقات "وكان الجاحظ يعوّل على الثِّقاتِ ممّن عاينوا وشاهدوا ما يرْوُونَه، بطبيعة حالهم أو مهنتهم أو هوايتهم، فيتسمّع إليهم وينقُل ما يسمعه بأمانة ودقّة ويحكي الخبرَ بكلّ حذافيره ولا يهمل منه شيئًا. وكان في روايته للأخبار يحرص على ذكر صاحب الخبر الثّقة ويُعنى بإيراد الخبر في نفس الأسلوب الذي سمعه."

الأب فيكتور شلحت اليسوعي. النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ دار المعارف بمصر 1964 ص 140

2– قدرة التشبيه على تقرير الحجة في الأذهان

ويلحق بالحدِّ في الدلالة على الوعي **اعتمادُه التشبيهَ وسيلةً للتقريب والمقايسة وسبيلا إلى التوضيح والتنظيم**. ولا يخفى على العارف بتاريخ العلوم أهمية التشبيه في استخلاص القوانين والقواعد التي تَطَّرِدُ على الظواهر، **كما لا تخفى قدرتُه على تقرير الحجة في أذهان المخاطبين** بحمل المثل على المثل والمجانس على المجانس : " فأمَّا الهَمَجَ فليس بطيْرٍ، ولكنَّه ممّا يطيُر، والهمجُ فيما يطير كالحشرات فيما يمشي".

حمادي صمود. من مقال "الوعي بالأجناس الأدبية في كتاب الحيوان **للجاحظ**"

مجلة حوليات الجامعة التونسية كلية الآداب منوبة العدد 45–2001 ص 204–205

3– التعريفات

"ومن أبرز القرائن على وعي صاحب الحيوان بأهمية التقسيم والتصنيف، كثرةُ التعريفات والحدود. والحدُّ في معناه اللغوي ومفهومِه المنطقي هو الأداة الأساسية لبيان الفروق وبناءِ ما يفصل بين الأشياء ويجمع من خصائص يقوم عليها، وبها يستجيب للشروط المنطقية التي يجب أن تتوفر فيه. فليست تقوم الحدودُ إلّا بِنِيَّةِ ضبط العلامات الفاصلة الواصلة ووضع الرواسم المساعدة على القِسْمة بين الأشياء للتحكّم فيها بإخراجها من حالة التداخل والفوضى إلى التمايز والانتظام."

حمادي صمود.

من مقال "الوعي بالأجناس الأدبية في كتاب الحيوان للجاحظ"

مجلة حوليات الجامعة التونسية كلية الآداب منوبة العدد 45–2001 ص 204

في المنزع العقلي

الانسجام بين عنصري العقل والعقيدة

"تَطبَّعت المعرفةُ العربية الإسلامية في عصور ازدهارها بطابع النَّظر العقليّ المندمج بطابع الروح والشعور والعقيدة فحدث فيها الانسجامُ المتين بين عنصرَيْ العقل والعقيدة انسجاما ليس له مثيلٌ في سائر الديانات السماوية وغير السماوية إلا ما قلَّ وندر عند بعض الْقَسَاوِسَة المعدودين في الملّة النصرانية."

فرحات الدشراوي.

من مقال منزلة العقل عند ابن خلدون حوليات الجنوب

نشرية تربوية يصدرها المركز الجهوي للتربية والتكوين المستمر بمدنين عـ1دد ص 146

في الحجاج

1– **الحجاج قسمان** : يُقَسِّم بعضُ النقّاد الحجاجَ قسمين بحَسَب نوع الجمهور هما **الحجاج الإقناعي** l'argumentation persuasive وهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص l'auditoire particulier **والحجاج الاقتناعي** l'argumentation convaincante وهو حجاج يرمي إلى أن يُسلِّم به كلُّ ذي عقل. فهو عامّ، لكن لمّا كان المؤلّفان يردّان كافة أنواع الجمهور بما في ذلك المخاطب الفرد والشخص يخاطِب نفسه وبما في ذلك الجمهور الخاص إلى نوع واحد هو الجمهور العام فهو الذي يستحضره الخطيبُ دائما باعتباره مقياس القبول أو الرفض، أَمْكَنَ لنا أن نقول إنّ المؤلّفيْن يجعلان الاقتناع بما هو ذاتي وخاص وضيّق لا يعتدّ به في الحجاج. يقول المؤلّفان في خاتمة كتابهما واضعيْن الحجاج من حيث هو اقتناع بين الاستدلال من ناحية والإقناع من ناحية أخرى: إنّ الحجاج غير المُلْزم Non contraignant وغير الاعتباطيّ هو وحدَه القَمين بأنْ يحقّق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل.»

"الحجاج أطره ومنطلقاته ..."

كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.

كلية الآداب منوبة 1998 ص301

2– الروابط الحجاجية

العلاقة المنطقيّة	الرّوابط المنطقيّة	الوظيفة
الجمع والإضافة	و– إضافة إلى – إلى جانب ذلك–من ناحية ومن ناحية أخرى – ولكن أيضا – لا فقط.	تسمح بإضافة حجّة جديدة
الاستدراك	رغم– بدون شكّ – رغم أن –مهما كان – ولكن – غير أنّ – بيد أنّ – في حين.	تسمح بملاحظة حجج مناقضة مع التمسّك بنفس الموقف.
التقابل	– على النقيض – بخلاف ذلك – في الوقت الذي – إلاّ أنّ	تسمح بالمقابلة بين حدثين أو حجّتين بغاية تفضيل أحدهما
السبب	لأنّ–باعتبار أنّ– بتعلّة	تسمح ببيان الأصل والسّبب
النتيجة	إذنْ – بما أنّ – بحيث – تبعا لذلك	– تسمح ببيان النتيجة – استنتاج – تعليل

إنّ الرّوابط الحجاجيّة تشدُّ الأفكارَ بعضَها إلى بعض وتتدرّج إلى نتيجةٍ يريدها المحاجُّ. ولذلك فإنّ تغيير رابط حجاجيّ بآخر قد يؤدّي إلى خلل في النصّ. فالرّوابطُ تلعب دورا مهمّا في التوجيه الحجاجي الذي يجوّز بدوره للبحث في التّرابطات الحجاجيّة الممكنة بما أنّ مسوّغاتها متجذّرة في بنية الأقوال اللّغوية. فالعلاقة بينهما جدليّة.

عنْ كمال السحباني. " الحجاج في المقال الأدبي عند تلامذة السنة الثالثة من التعليم الثانوي"
بحث مرقون لنيل شهادة الدراسات المعمّقة – المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمرّ 2001/2000 ص 30

"وقد زعموا بهذا الإسناد" (...)
"أفعى تنهش وتعضّ ولا تقتل"

دجاجة ذبحت في علاج شخص من نهشة أفعى. كتاب العلوم في الإسلام دار الجنوب للنشر تونس 1978

النّصّ عدد 4

المعتزلة يتوسّطون الفرق

كان للمعتزلة نشاط كبير تجلّى في ما قام به أعلامُها من دعاية لمذهبهم ودفاع عنه وفي ما ألّفوا من كتب لضبط تعاليمهم وشرحها. كما حاولوا أن يوجدوا لمبادئهم الخمسة نظرية منطقية لتفسير التعاليم الإسلامية الخاصّة باللّه وبالإنسان وأعماله، يقول الجاحظ مدافعا عن المعتزلة : "أقول : إنّه لولا مكان المتكلّمين لهلكتِ العوامُّ من جميع الأمم، ولولا مكانُ المُعتزلة لهلكتِ العوامُّ من جميع النِّحل. فإنْ لم أقُلْ، ولولا أصحابُ إبراهيم وإبراهيمُ لهلَكت العوامُّ من المعتزلة، فإنّي أقول : إنّه قد أَنْهَجَ لهم سُبُلاً وفتقَ لهم أمورًا واختصرَ لهم أبوابًا ظهرت فيها المنفعةُ وشملتهم بها النّعمة". الجاحظ. كتاب الحيوان الجزء 4 ص 206

قلت لك* إنّي قد سمعتُ من هذا** رواياتٍ ورَويْتُ فيه أشعارا وسمعتُ من النّاس فيه خوضًا كثيرًا، وسأُقيمك على الواضحة وأقف على الجادّة، بلْ على العِلْم العظيم والمنهج الفسيح إن شاء اللّه. وخيرُ الأقاويل بل أعدلُها وأرضاها عند الله أقصدُها(1). ولذلك اخترنا الاعتزالَ مذهبًا(2) وجعلناه نِحْلةً(3) وَمَفْخرًا، وسنقدِّم قبل القول في هذه المسألة قولاً فافْهمْه.

قالت الجهْميّةُ : " لا نقول إنّ الله معنى ولا نقول إنّه شيءٌ، ومتى أَضفنا إليه شيئاً فمتى نحن أضفناه إليه فذلك الشيء فعلٌ من أفعاله، كذلك سمعُه وبصرُه وعلمُه وقدرتُه".

وقالت الرَّافِضَة : "هو جسم فضلا عن أن نقول إنّه شيء". وقالت المعتزلة : "هو شيءٌ وليس كمِثله شيء، وليس بجسمٍ وليس عِلمُه بفعلٍ ولا صُنْعٍ، وإنّما قولنا : له علمٌ كقولنا : هو عالِم، نريد أنّه لا يخفى عليه خافيةٌ". وقالت المُرْجِئَةُ : "القاذِف(4) مؤمِنٌ(5)"، وقالت الخوارجُ : "القاذف كافر(5)" وقال بعضُهم : مُشْرك(6)، وقالت الْبَكْرِيّةُ : "بلْ هو أسوأُ حالاً من المشرك، والمُنافقُ(7) أشدُّ عذابًا من الكافر"، وقالت المعتزلة : "هو فاسِق(8) كما سمَّاه نصًّا ولا نسمّيه كافرا فيُلْزِمنا أن نلزمه أَحْكَامَ الكفّار وليس ذلك حكمَه، ولا نقول : مؤمن، فيلزمنا ولايتُه ومدحه وإيجاب الثواب له، وقد أخبرنا الله تعالى أَنَّه مشؤوم من أهل النار، فنزعم أنَّه في النار مع الكافر وأنّه لا يجوز أن يكون في الجنّة مع المؤمن".

وقالت الخوارجُ في قتال الفئة الباغية : "نَسير فيها بالإكْفارِ وبالسَّبْيِ والغنائم وباتّباعِ المدبرِ والإجهازِ على الجريح". وقالت المرجئة : "لا قتال"، وقالت المعتزلة بالقول المرضيِّ وهو إيجابُ القتال على جهةِ الدفع لا على القصدِ إلى القتال ولا على السَّبْيِ ولا على الإجْهازِ على الجرحى ولا على استِحْلال الأموال، فلم نُفرط إفراط الخوارج ولم نقصِّر تقصيرَ المرجئة، ودينُ الله بين المقصِّر والغالي، وهذا الاشتقاق، وهو التوسُّط والاقتصادُ، هو الاعتزال لِغلوّ مَنْ غلا وتقصيرِ مَنْ قصَّر. والأصلُ الذي نبني عليه أمورنا فيمن ليس عندنا كعليّ وسابقته وَأَرومَته(9) وكامل خصاله بل في أدنى رجل من أوليائنا، أَنَّا متى وجدنا له عملاً يحتمل الخطأ والصّواب لم يكن لنا أن نجعل عملَه خطأً، حتى يُعْيِينَا فيه وجهُ الصوابُ، وليس لنا بعد أن قضيْنا بأَنّه خطأٌ أن نقْضيَ بأَنَّهُ خطيئةٌ حتى يُعْيِينَا القدرُ بأَنَّه سليمٌ من طريق المآثم. فإنْ

قَضيْنا بأنه إثم فليس لنا أن نَقْضيَ بأنّه ضَلال(10) ونحن نجد لصرف الدفع عنه أنه ضلال إلى الإثم محتملا. وإنْ قضينا بأنَّه ضلال فليس لنا أن نقْضِي بأنّه كُفْر إلاّ بعد ألاّ نجد من ذلك بدًّا فيكون الحقُّ أحقَّ ما قُضِيَ به وصُبِر عليه.

فَمنْ كَانتْ – حفظك الله – هذه سيرتُه وطريقتُه في أدنى أوليائه، فكيف تظنّه في أرفع أَوليائه؟ فهذا ما لا يحلّ لي أن أظنَّه بعليّ بن أبي طالب. فإنْ كان عندَك برهانٌ واضحٌ ودليل بيّنٌ يكشف لنا على الحال فيه حتّى يتبيَّن به أنَّه كان سببًا من إراقة دمه، فعلينَا السمعُ واليقينُ والإقرارُ وعليكَ البيانُ والإفهامُ بالدليل والحرص.

الجاحظ. رسالة في الحَكَمَيْن ضمن رسائل الجاحظ. شرحها عليّ أبو مَلْحِم دار ومكتبة الهلال بيروت ط1/1987 الرسائل السياسية ص ص 380–381

* قلت لكَ : يوجّه الجاحظُ كلامه في هذه الرسالة الى شخص يدعوه ابنَ حسَّان يبدو أنّه كان معتزليا ثمّ انفَصَل عنهم.

** من هذا ... رويتُ فيهِ : اسم الاشارة وضمير الغائب يعودان الى موضوع الرسالة وهو موضوع سياسي يتعلق بالخلاف بين عليّ ومعاوية.

التعريف بالأعــلام

الجَهْميّة : فرقة من الجبرية القائلة إنَّ الإنسان مُسيَّرٌ لا مُخيَّرٌ. وهم أصحابُ جهْمِ بن صفْوان السَّمَرْقَندي، كان جهم يتولّى القضاء في عسكر الحارث بن شُرَيْح الخارج عن أمراء خراسان. قتل في فتنة في خراسان في محاربة بني أميّة سنة 128 هـ. مِنْ أقواله "لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يُوصَف بها خَلقُه لأنّ ذلك يقضي تشبيهًا ..." (الملل والنحل للشهرستاني ص 97/98).

الرافضة : فرقة من الشيعة تجيزُ الطَّعْن في الصحابَةِ. سُمُّوا بذلك لأنّ أَوَّليهِمْ رفضوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الشَّيخَيْن.

المرجئة : فرقة إسلامية لا يحكمون على أحدٍ من المسلمين بشيءٍ بل يرجئون الحكم إلى يوم القيامة. من أقوالهم المشهورة : "إنّه لا تَضرُّ مع الإيمان مَعْصِيةٌ ولا تنفع مع الكفر طاعةٌ".

الإرجاء تأخيرُ حُكْمِ صاحبِ الكبيرةِ إلى يوم القيامة. فلا يُقْضَى عليه بحُكْمٍ ما في الدنيا، من كونه من أهل الجنّة أو من أهل النار.

والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالِصة. (الشهرستاني : المِلل والنحل ص 162)

البَكْريّة : هم أصحابُ بكر بن أختِ عبد الواحد بن زَيْدٍ. والذي كان يذهب إليه في الكبائر ... أنّها نِفاق كلّها وأنّ مُرتكب الكبيرة من أهل الصلاة عابدٌ للشيطان مكذّب لله سبحانهُ جاحد له، منافق، في الدرك الأسفل من النار مخلّد أبدا إن مات مُصرّا. "عن مقالات الإسلاميين" لأبي الحسن الأشعري ص 286

الخوارج : فرقة من الفرق الإسلاميّة تُطلَقُ على كلّ مَنْ خرج على الإمام الحقّ الذي اتّفقَت الجماعة عليه ... سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم ... يجمعهم القول بالتبرّي من عثمان وعليّ ويقدمون ذلك على كلّ طاعة ويكفّرون أصحاب الكبائر ويرون الخروجَ على الإمام إذا خالف السنَّةَ حقّا واجبا.

عن الشهرستاني. الملل والنحل، ج 1 ص 114/115

الشرح

1) **أقْصَدُها** : اسم تفضيل متعلّق بقَصَدَ في الأمرِ أو الحكم : توسّطَ، عَدَلَ.
2) **المَذْهَب** : جمعها مذاهب. ذَهَبَ في الدّين مذْهَبًا : رأى فيه رأيا أوْ أحدث فيه بِدْعَةً والمذهَبُ: المعتقد الذي يُذهَب إليه. (عند العلماء) مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضُها ببَعضٍ ارتباطا يجعلها وحدة منسّقَة.
3) **النّحْلَةُ** : الدّين والعقيدةُ. جمعُها نِحَلٌ.
4) **القاذِف** : اسم فاعل متعلّق بقَذَفَ. قَذَفَ المحصَّنَةَ : سبَّهَا وقذَف امرأتَه بِشريك : رماها بالزّنا أو ما كان في معناه. قذَفَ يَقْذِفُ الرجلَ : رمَاهُ واتَّهَمَهُ بريبَةٍ.
5) **مُؤْمِن** : المُصدِّقُ بالله وبرسوله وبِما جاءَ به (التعريفات للجرجاني ص196) وضدُّهُ الكَافِرُ.
6) **مُشْرِك** : اسم فاعل متعلّق بأشْرَكَ بالله : جَعَل له شريكا في مُلكِهِ. والشِّرْكُ : اعتقاد تعدّد الآلهة.
7) **المُنَافِقُ** : **هو** الذي يُضْمِرُ الكفرَ اعْتقادًا ويُظْهِرُ الإيمانَ قَوْلاً (التعريفات للجرجاني ص235)
8) **الفاسِقُ** : ج فَسَقة وفُسّاق وفاسِقون. من شهد ولم يَعْمل واعْتقدَ (التعريفات للجرجاني ص164)
فَسَقَ يفْسُقُ فِسْقًا وفُسُوقًا : عصى وجاوز حُدودَ الشَّرْعِ. يُقال : فسَق من أمر ربِّهِ : خَرَجَ عَنْ طاعَتِه
9) **أَرُومَتُهُ** : أصْله
10) **ضَلاَل** : مصدر متعلّق بضَلَّ يَضِلُّ : الضَلاَلُ : الهلاكُ، البَاطِلُ الضَّالُّ : كلُّ مَنْ ينحرِفُ عن دين الله الحنيفِ.

الفهم والتحليل

1– حدّد طرفيْ الخطاب. هل يوحي وضعُهما بما ستؤول إليه سَيرورة الحجاج ؟
2– ما الخطةُ التي اعتمدها المحاجّ لإقناع الطرف الآخر ؟
3– استخرج من المعجم الحجاجيّ بعض المفاهيم والعبارات والأساليب التي تدعم نمط هذا النصّ.
4– هل يختلف الحكم النهائيُّ الذي توصَّلت إليه المعتزلة في مسألة "القاذف المؤمن" عن حكم الفرق الأخرى ؟ بم تفسّر ذلك ؟
5– لا يخلو النصّ من طابع تفسيريّ ذي وظائفَ إخبارية وتعليمية وتعريف. ابحث عن أدلّة تدعم هذا الفهم.
6– اجمع من النصّ معطيات تساعدك على وضع تعريف للمعتزلة.
7– استخرج بعضَ خصائص الفكر الاعتزالي في تناوله لمثل هذه المسائل الكلامية.

النقاش

- أثار النصُّ مسائل تتّصل بالعقيدة، هل ترى أنّ الخوضَ فيها يدلّ على حريّة الرأي والتفكير آنذاك؟
- بمَ تفسِّر استمرار الحديث عن الاعتدال والوسطية في الإسلام في عصرنا الحاضر ؟
- مِنْ معاني العقل الإصَابَةُ في الحُكْمِ. إلى أيّ حدّ ترى أنّ المعتزلة قد أصابوا في الأحْكام التي أصدَرُوهَا بشأْن المسائل المثارة في النّصّ ؟

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	"كانتْ – حفِظَكَ اللهُ – هذه سيرته" – حفِظكَ الله : جملة اعتراضية وهي جملة تعترض أي تتوسّط بين شيئين متلازمين، لإفادة الكلام تقوية وتسديدا وتحسينا. مصطفى الغلاييني "جامع الدروس العربية" المكتبة العصرية بيروت ج 3 ص 287 – للجملة الاعتراضية قوة إنجازية قد تكون مباينةً للقوّة الانجازيّة للجملة الأساسية. ففي قولنا "إنّ خالدًا وهندا – أسعَدَهُما الله – قد تزوّجا تتمثّل القوّة الانجازية للجملة الأساسية (إنّ خالدًا وهندًا قد تزوّجا) في تأكيد الخبر وتقويته في حين تمثّل القوّة الانجازيّة للجملة الاعتراضيّة (أسعدهما الله) الدّعاءَ. – يكمُن دورُ الجملة الاعتراضية بالأساس إمّا في تقوية القوة الإنجازية للجملة الأساسية عندما يكون الاعتراضُ قائما على القَسَم أو التأكيد (إنَّ خالدا وهندا – واللَّهِ – قد تزوّجا) وإمّا في إضعاف القوة الانجازية للجملة الأساسية إذا تضمّن الاعتراض الظنَّ مثلا (إنّ أخاك – أَظنّ – كريمٌ).
الحقل المعجمي	من مصطلحات الحجاج في النصّ : البرهان – الدليل – اليقين – الإقرار. اشرحها وتبيّن الفروق بينها.
الكتابة	اجمع المعلومات التي توفّرت لك عن المعتزلة واستخرج منها ما تراه إيجابيّا وكوّن به نصّا مقنعا.

تنويـــر

في الأثـر

1– استخدام العقل في التفسير

"وكان الجاحظ يميلُ إلى استخدام العقل والاعتماد عليه في تفسير كتاب اللّه ويخاصمُ مَنْ يفسِّر كلاَم الله على ظاهر معناه، فالعقلُ الصحيح عنده أساسٌ مِن أسس التشريع ووضعهُ في شكلِ غير الشكل الذي يوضع عادة وهو القياسُ المقيَّد في عُرْف الفقهاء. وكان ينقد المفسِّرين لأنّهم يميلون إلى الغريب من الألفاظ والأخبَار والروايات من غير تمحيص. ولذلك دعا إلى تحكيم العقل في والروايات فيما يعرض له من التفسير وكذلك الحديث، ويقف لتفهم العلل، ويرجع إلى المعقول وطبائع الأشياء، وقد هاجم رجالَ الحديث ورماهم بالقُصور ووصفهم بأنّهم جَمَّاعون لا يُعمِلون عقولهم فيما يروون."

محمد عبد المنعم الخفاجي. "أبو عثمان الجاحظ"
دار الكتاب اللبناني بيروت ط1/1973 ص ص 158–159

2– تفهّم الواقع بواسطة التعريف

"مِنْ أهمِّ مظاهر النزعة العلمية المنطقية في أسلوب الجاحظ التفكيري العنايةُ بالتعريفات. والتعريفُ على اختلاف أنواعه حدًّا كان أو رسمًا أو تقسيمًا أو تصنيفًا هو وسيلةٌ لتوضيح معاني الأشياء وتحديدِها في الذّهن ليتسنّى لنا تصوّرُها على حقيقتها والعلمُ بها عِلما دقيقًا. وقد أفاد الجاحظ من هذه الأساليب في استخراج معان مطابقة لمقتضى حال الواقع."

الأب فيكتور شلحت اليسوعي.
"النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ" دار المعارف مصر 1964 ص ص 144–145

3– اعتبار المخاطب في مقام الترسّل

"إنّ المتأمّل في نصوص أدب الكُتَّاب وفي الآثار البلاغية التي اهتمّت بأوضاع الكتابة يستنتجُ أنّ القدامى قد تحدَّثوا عن المُخَاطَبين باعتبارهم أركانا في مقام الترسّل وذكروا أنّ المتكلّم في الرسالة إذا أَجْرَى الكلامَ دون أن يراعِيَ ثقافةَ المخاطَب وقدرته على تصريف مقاصدِ الكلام وملكته التواصلية وطاقته في تقبّل الكلام أَوْقَعُه ذلك كُلُّه في مخالفة مُقتَضياتِ المقام وحالَ دُونَه ودونَ التصرّفِ فيه وأَخطأَ البلاغة الترسُّلية في ذلك الجنس من الرسائل."

صالح بن رمضان. أدب الرسائل في التراث العربي.
علامات في النقد الجزء الثامن والعشرون المجلد السابع 1998 ص 413

من مبادئ المعتزلة الخمسة

1– التوحيد

لا شكّ أنّ التوحيد من أهم مبادئ المعتزلة وأكثرها نتائجَ، ويتلخّصُ في أنَّ حقيقةَ الله فرديةٌ لا كثرة فيها بوجْهٍ من الوجوه .وقد تعمَّقوا في معنى التوحيدِ هذا وحلَّلوا نتائجه المنطقية.

أ– **الذات والصفات** : لا يميّز المعتزلةُ بين الذات والصّفات فهُمَا يُكوِّنان وَحدةً لا تتجزّأ ولولا ذلك لانعدمتْ في نظرهم وحدانيةُ الله. وتُسمّى هذه النظريةُ بالتعطيل.

ب– **خلق القرآن** : لا يمكن في نظر المعتزلة أن يُعتبر القرآنُ بحروفه وعباراته كلامَ اللّه أَيْ صِفة من صفاته لأنه لو كان كذلك لانعدمتْ الوحدانية فهو إذن كلامٌ خلقه اللهُ في غيره ووصلَ إلى النبي ولم يُسَمَّ كلامَ اللّه إلاّ لأنّه خلقه اللّه من غير واسطة. ومن الملاحظ أنَّ مبدأ خلقِ القرآن من المبادئ التي اشتهر بها المعتزلة في عصرهم وترتَّب عليها أحداثٌ سياسية واجتماعية.

ج– **التأويل** : نِظرة المعتزلة إلى التوحيد تُحتّم عليهم ألاّ يقنعوا بالمعاني الظاهرية لبعض الآيات القرآنية مثل (يدُ الله فوقَ أيديهم* ثم استوى على العرش**). فكانوا يعتبرون أنَّ هذه الألفاظَ مستعملةٌ في معان مجازية ويُؤَوِّلونها تأويلا يتماشى ونظرتهم إلى التوحيد.

* سورة الفتح الآية 10
** سورة الأعراف الآية 54

كتاب التفكير الإسلامي. تأليف جماعة من الأساتذة
الديوان التربوي، الشركة التونسية للتوزيع ص 44

2– المنـزلة بين المنـزلتين

"هذا المبدأ ناشئ عن نِظرة المعتزلة إلى الإيمان. فالإيمانُ في نظرهم عقيدةٌ وعَمَلٌ. فهو كما عرّفه ابنُ حَزْم في حديثه عن المعتزلة" معرفةٌ بالقلب وإقرارٌ باللسان وعملٌ بالجوارح". وكلُّ عملٍ فرضًا كان أو نفلاً إيمانٌ. وكلّما ازداد الإنسانُ خيرا ازداد إيمانا وكلّما عصى نقصَ إيمانُه".

والمعاصي في نَظرهم تنقسم إلى صغائرَ و كبائرَ. ومُرتكِبُ الكبائر ليس مُؤْمنا ولا هو كافر وإنما هو بين منزلة المؤمن ومنزلة الكافر وهو مُخلَّد في النار ولوْ صدّق بوحدانية الله وآمن برسله."

كتاب التفكير الإسلامي. تأليف جماعة من الأساتذة
الديوان التربوي، الشركة التونسية للتوزيع ص ص 100–101

في الحجـاج

1– **النموذج** (Modèle) **والنموذج المضادّ** (Antimodèle)

"هو وسيلة تعبيرية مؤسَّسة على حجّة السلوك باعتبار السلوك قدوةً تُسْتَوْحى من الأشخاص أو الجماعات أو الأفكار أو المذاهب...تؤكِّدُها قيمةُ الأفعال وذلك لميلٍ طبيعيّ في الناس نحو الاقتداء بنماذج معيّنة حيث تعتبر **في القول الحجاجي مقدمات تستخلص منها نتائج معيّنة** تؤدّي إلى امتداحِ سلوك خاصٍّ يمتلك بعضَ مظاهر التميّز إذ لا يُمكن الاقتداءُ بأيٍّ كان.

كما يمكن اعتبارُ النموذج المضادّ (أو مخالفة النموذج) نموذجا كذلك يُستعمل أيضا كتقنية في الِخطاب الحجاجيّ ويكون أكثَر فعاليةً حيث يفقد النموذج الأصليُّ قيمتَه وفعاليته ويحوِّله في مجالات مقاميّة معيّنة إلى الهزء أو الهزل أو السخرية ... كما في المثال الذي أورده "برلمان" Perelman حين قال الأب لِابنه الكسول: في مِثْلِ سنِّك كان نابليون على رأس الفصْل الذي يدرس فيه. فردّ الابن : وفي مثل سنّك كان نابليون إمبراطورا.."

عبد السلام عشير. **عندما** نتواصل نغير /مقاربة تداولية معرفية
لآليات التواصل والحجاج/ إفريقيا الشرق المغرب 2006 ص ص 95–96

2– **الأسئلة السِّجالية**

"...أمّا النوع الثاني من الأسئلة فهو **الأسئلة السِّجَاليّة** les questions polémiques وغرضُها إثارةُ المخاطَب بما فيها من عُنْفٍ. وإلى هذا النوعَ ينتمي السؤالُ المفخَّخ la question piège وهو سؤال يهدف إلى تـوريط المخاطَب وإسكاتِه وإظهار جهله. ومنها **السؤالُ اللاّذِعُ** la question de controverse المثيرُ الذي يهدف إلى كشف حقيقةِ شخصية الخصمِ وجعلهِ في حالة انفعالية يفقد معها القدرة على التعقُّل فيسهل التغلّب عليه. ومنها **سؤالُ الاتِّهام** la question culpabilisatrice أو الإشعارِ بالذَّنْب وبه يُدعى الخصمُ أو المخاطبُ إلى تبرير موقفه في ضوء مستجدّات حاصلة (كيف تزعم أنّ)."

عبد الله البهلول. من مقال "بلاغة الجواب أو عندما يسأل السياسي الأديب"
مجلة القلم عدد 13 السنة 2006 ص 87

3– **الأفعال التّعبيريّة وأنماطها**

* **الفعل الخطابي** : يُورِّطُ المتكلّمُ المخاطَب في فعله التلفّظيّ ويفْرضُ عليه محتوى كلامه ويجعله حاضرا في فعل التلفّظ بأشكال مختلفة (ضمائر الخطاب، اسم العَلَم أو اسْم الجنْس، وضعيّة الجمل كالطّلب ...) ويمكنُ أن يُظهر المتكلّمُ موقعَه بالقول : أنا موضوع الكلام ويمنح نفسه إمكانيّةَ التّفاعل مع محتوى التلفّظ.
* **فعل الأداء** : يضع المتكلّمُ في هذا الفعل مضمونَ كلامِه بإزاء نفسهِ في فعله التلفّظيّ فيكشِف موقعه الخاصَّ ممّا يقوله ويكون حاضرا فيه على أشكال متعدّدة (ضمير المتكلّم واسم العلم واسم الجنس ووضعيّة الجملة مثل التعجّب والتّمنّي.)
* الفعل **غير التّعبيري** : وهو أن يترك المتكلّمُ محتوى كلامِه يفرض نفسَه كما هو حتّى كأنّه ليس مسؤولا عنه. وممّا يدلّ على ذلك غيابُ المتكلّم والمخاطب عن فعل التلفّظ فتظهر الملافِيظُ في شكل غير شخصيّ.

الهاشمي العرضاوي. " قضايا الاستدلال في تعليم العربية لغة ثانية..."
بحث مرقون لنيل شهادة الدراسات المعمّقة
المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر 2003–2004 ص30

النّصّ عدد 5

المعرفة والاستدلال

التمهيد
يحثّ القرآن على التفكير والاعتبار ويدعو إلى التأمّل وإمعان النّظر في الكون وما يحتويه من مخلوقات وذلك للوقوف على الغاية من خلقها. والجاحظ المفكّر الديني المعتزلي يدعو الإنسان إلى تمييز الأمور بالمعرفة الحسيّة ثم العقلية حتى يكون عملُ الدّنيا سلّما إلى عمل الآخرة.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يُردِّد في كتابه ذِكرَ الاعتبار(1) والحثَّ علَى التفكير والترغيبَ في النَّظَر(2) وفي التثبُّت(3) والتعرُّفِ(4) والتوقُّفِ(5) إلاّ وهو يريد أن تكونوا علماءَ من تلك الجهة، حكماءَ من هذه التعبئة(6).

ولولا استعمالُ المعرفة(7) لما كان للمعرفة معنى(8) كما أنَّه لولا الاستدلالُ(9) بالأدلَّةِ لما كان لوضع الدَّلالة معنىً. ولولا تمييزُ المضارِّ من المنافع والرديءِ من الجيِّد بالعيون المجعولة لذلك لما جَعل الله عزَّ وجلّ العيونَ المدركَةَ. والإنسانُ الحسَّاسُ(10)، إذا كانت الأمورُ المميّزةُ عنده أخذَ ما يحتاج إليه وترك ما يُستغنى عنه وما يَضُرّ أخذه، فيأخذُ ما يحبُّ ويدَعُ ما يكره ويشكُر على المحبوب ويَصْبِر على المكروه، حتىّ يذكرَ بالمكروه كيفيَّةَ العِقاب ويَذكُرَ بالمحبوب كيفيّةَ الثواب ويعرفَ بذلك كيفيّةَ التضاعيف(11)، ويكونَ ما يغمُّه رادِعا له، وممتحناً بالصَّبْر عليه وما يسرُّه باسطاً له ومُمْتَحَنا بالشكر عليه. وللعقل في خلال ذلك مجالٌ وللرأي تقلّبٌ. وتنشَقُّ للخواطر أسبابٌ ويتهيّأُ لِصواب الرأي أبوابٌ. ولِتكونَ المعارفُ الحسيّةُ والوِجدانات(12) الغريزيّة وتمييزُ الأمور بها إلى(13) ما يتميّز عند العقول وتحصره المقاييس، وليكونَ عملُ الدُّنيا سُلَّما إلى عمل الآخرة وَلِيترَقّى من مَعْرِفة الحواس إلى معرفةِ العُقول ومن معرفةِ الرويّة من غايةٍ إلى غايةٍ حتّى لا يرضى من العِلم والعَمَل إلاّ بما أدّاه على الثواب الدائم ونجّاه من العِقاب الأليم.

الجاحظ. كتاب الحيوان. الجزء الثاني ص ص 115/116

ولو وقفتَ على(14) جناحِ بعوضة وقوفَ معتبِر(15)، وتأمّلته تأمُّلَ متفكِّر بعد أن تكون ثاقبَ النّظرِ، سليمَ الآلة، غوّاصًا على المعاني لا يعْتريك من الخواطر إلاّ على حَسَبِ صحّةِ عقلك ولا مِنَ الشواغل إلاّ ما زادَ في نشاطك، لملأت، مِمّا تُوجِدُك(16) العبرةُ من غرائبَ، الطّوامير(17) الطِّوالَ والجُلودَ الواسعةَ الكِبارَ، ولرأيتَ أنَّ له من كثرة التصرُّف في الأعاجيب ومِنْ تقلُّبه في طبقات الحكمة، ولرأَيتَ له من الغُرْر(18) والرَّيع(19) ومن الحلَب والدِّرِّ، ولَتَبَجَّسَ(٢٠) عليك من كوامِن(21) المعاني ودفائنها ومن خَفِيَّاتِ الحِكَم وينابيعِ العلم مالا يشتدُّ معه تعجُّبُك ممّن وقف على ما في الدّيك من الخصال العجيبة وفي الكلب من الأمور الغريبة ومن أصناف المنافع وفنون

المرافق وما فيهما من المِحن الشِّداد، ومع ما أُودِعا من المعرفةِ التي مَتَى تجلّتْ لك تصاغرَ عندك كَبيرُ ما تَستعظِم وقلّ في عينك كثيرُ ما تستكثِر. كأنّكَ تظنُّ أنّ شيئا وإنْ حسُن عندك في ثمنه ومنظره، أنّ الحكمة التي هي في خَلْقه إنّما هي على مقدارِ ثمنه ومنظَره.

الجاحظ. كتاب الحيوان. الطبعة نفسُها الجزء الأول ص ص 208/209

الشرح

1) **الاعْتِبار** : مصدر متعلّق باعْتَبَرَ. اعْتَبَرَ : تدبّرَ وتفكّرَ. اعتبرَ من الشيءِ تعَجَّبَ. الاعتبَارُ : التدبُّرُ.
2) **النَّظَر** : نَظَر إلى الشيء : أَبْصَرَهُ وتأمَّله بعَيْنِه. نظر في الشيء : تدبَّرَ وفكَّرَ. النَّظَرُ : تأمَّلَ الشيء بالعَينِ والنَّظَرُ والتفكُّرُ والتَدبُّرُ في الشيء بالقلبِ.
3) **التثبُّت** : مصدر متعلّق بتَثَبَّتَ في الأمر والرأي : تأنّى فيهِ ولم يَعْجَلْ.
4) **التَّعرُّف** : مصدر متعلّق بتَعَرَّفَ. يُقال تَعَرَّفْتُ مَا عندَ فلانٍ أي تطلَّبْت حتَّى عَرَفْت.
5) **التَّوَقُّف** : مصدر متعلّق بتَوَقَّفَ. توَقَّفَ عليه : تثبَّتَ وتلَبَّثَ عليه.
6) **التَّعْبِئَة** : عَبأَ الأمرَ وعَبَّأَهُ : هَيَّأَهُ.
7) **المَعْرِفة** : إدراكُ الشيء على مَاهُوَ عَليه، وهيَ مسبوقة بِجَهْلٍ بِخِلافِ العِلمِ (التعريفات للجرجاني ص 221)
8) **مَعْنى** : مصدر ميميّ متعلّق بعَنَيْتُ بالقوْل كذا : أَرَدتُّ. معنى كلّ كلامٍ مَقْصِدُه. ورَوَى الأزهريُّ قال : المعنى والتَّفْسيرُ والتأْويلُ واحِدٌ.
9) **الاسْتِدلال** : مصدر متعلّق باستدلَّ. الاستِدْلالُ انتقالُ الذّهن من أمرٍ معْلومٍ إلى أمرٍ مَجْهُول .... أمَّا التَّعليلُ فهو انتقالُ الذهن من المؤثِّر إلى الأثر كانتقال الذهن من النار إلى الدخان. (عن التعريفات للجرجاني ص61)
10) **الحسّاس** : صيغة المبالغة (فَعَّال) حسِسْتُ بالخَبَرِ وأحْسَسْتُ بِهِ : أيْقَنْتُ به. أَحسَّ الخبر : عَلِمَهُ وأدْركَه.
11) **التَّضاعيف** : كلمة تُستعمل جَمْعًا : تَضاعيفُ الكتاب ونحوه: حواشيه وما بين سُطورهِ.
12) **الوجْدانيات** : ما يكونُ مُدْرَكَهُ بالحواس البَاطِنةِ. (التعريفات للجرجاني ص 250)
13) **إلى** : حرف جرٍّ يُفيدُ في هذا السياق الغايَةَ (حتىَّ) : مؤدّيَة إلى ...
14) **وَقَفْتَ على** : وَقَفَ على الشيءِ : فَهِمَهُ وتبيَّنَهُ وَاطَّلَعَ عليه.
15) **مُعْتبِر** : اعْتَبَرَ منه : تَعجَّب ونظَرَ وتَدبَّرَ. المُعْتبِرُ : المُستدلُّ بالشيءِ على الشيءِ.
16) **تُوجِدُك** : أَوْجَدَهُ مَطْلُوبَهُ : أَظْفَرَهُ بِهِ.
17) **الطَّوامير** : مفردها طامُورٌ وطُومَارٌ : الصَّحيفَةُ (كلمة دخيلة).
18) **الغُزْر** : مصدر متعلق بغَزُرَ يغْزُرُ غَزرًا وغَزَارَةً وغُزْرًا : الماءُ وغيرُه : كَثُر. الغُزرُ : الكثْرَةُ.
19) **الرَّيْعُ** : النَّماءُ والزيادةُ.
20) **تبجَّس** : تَفَجَّرَ.
21) **كَوَامِن** : مفردُها كَامِنٌ. كَمَنَ كُمُونًا اخْتَفَى.

الفهم والتحليل

1– القسمان يكوّنان نصّا حجاجيا واحدًا. قطعه حسب هذه الخطَّة.

2– الخطاب تعليمي سعى فيه الباثّ إلى حمل المتقبل على الاقتناع بالحقيقة. استخرج بعضَ المؤشرات الدالة على ذلك (أساليب، عبارات...)

3– في النّصّ أساليبُ ومحسّناتٌ بديعيّة تدلّ على تزَاوج الغاية التعليميةِ بالغاية الفنيّةِ. ما تأثيرها في المتَقبّل؟
4– يطغى على النصّ معجمان ديني وكلامي : ما الصلة بينهما ؟
5– هناك درجتان من المعرفة. حدّدهما وبيّن كيفيّة الاستفادة منهما.
6– يقوم النصّ على أقطاب ثلاثة : اللّه – الإنسان – العقل. ما العلاقة بينها ؟ استعن بالأفعال المنسوبة إلى الله والإنسان.
7– ما الفوائدُ الحاصلة من التأمّل العقلي ؟
8– للنّصّ أبعادٌ سلوكية أخلاقية تُخفي بعضَ مبادئ الاعتزال. وضّح ذلك مبيّنا مسؤولية الإنسان في ما يقوم به.
9– وضّح العلاقة بين قسميْ النّصّ فكرة وأسلوبا.

النقاش

- يقول الجاحظ في نصّ سابق "فَلاَ تَذْهَبْ إلى مَاتُرِيكَ العَيْنُ واذْهَبْ إلى ما يُريكَ العقلُ ... والعقلُ هو الحجَّة": هل تراه يناقض نفسه في هذا النص ؟ ادعم رأيك بأدلّة.
- يرى البعضُ أنّ من دوافع تأليف كتاب الحيوان إظهارَ حكمة الخالق من خلال دراسة خَلْقه أيْ معرفة عظمة الله. هل تعتبر هذا النصّ دليلا يدعم هذا الرأي ؟ وضّح.

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	"لَوْلاَ : لوْلا ولَوْ مَا يَنفردان بالدّلالة على امْتِنَاع شيءٍ يُسبِّبه وجودُ شيء آخرَ ويُسمّيان لهذا أداتَيْ شرطٍ امتناعيٍّ. والمرادُ بالشرط هنا الدلالةُ على ربطِ أمرٍ بآخر ربطا معيّنا وتعليقُ الثاني على الأول." عباس حسن. النحو الوافي دار المعارف ط 3 / 1974 ص 513 – "ولَو وقفتَ على جناح بَعوضةٍ" هذا الحدث الثانوي في ترتيب الشرط. **ابحث عن أفعال الحدث الرئيسيّ في بقية الجملة وبَيّن قيمتها في تفكير الجاحِظ.**
الحقل المعجمي	العقل، المعرفة، الحكمة : استخرج العبارات التي لها صلة بكلٍّ من المصطلحات الثلاثة. ما نصيبُ العقل منها ؟ وظّف ذلك لتدعم مفهوم المعرفة عند الجاحظ

تنويـــر

من آراء الجاحظ

1– من قلّ اعتباره قلّ عملُه

"إنّ الناس قد استغنوا عن التكرير وكَفُّوا مؤونة البحث والتنقير لقِلّة اعتبارهم. وَمَنْ قلَّ اعتباره قلَّ علمُه ومَنْ قلَّ علمُه قلَّ فضلُه ومن قلَّ فضلُه كثر نقصُه ومن قلَّ علمُه وفضلُه وكثر نقصُه لم يُحْمَدْ على خير أتاه ولم يُذَمَّ على شرٍّ جناه ولم يجد طعمَ العزِّ ولا سرورَ الظفر ولا روحَ الرجاء ولا بردَ اليقين ولا راحة الأمن."

رسائل الجاحظ تحقيق علي أبو ملحم. مكتبة الهلال1987 كتاب حجج النبوة. ص 134

2– المعرفة كلّها بَصَرٌ

يقول الجاحظ "والمعرفة كلّها بصرٌ والجهلُ كلُّه عَمًى والعمى كلُّه شَيْنٌ ونقصٌ والاستبانةُ كلّها خير وفضْلٌ."

كتاب الحيوان. الجزء الثاني ص 242

في الأثر

1– من مصادر الجاحظ في الحيوان

"من خلال قراءتنا لكتاب الحيوان، يَظهَر لنا أنّ الجاحظ اعتمد ينابيعَ عدّةً في تأليف هذا الكتاب. والينبوعُ الأول الذي اعتمده أكثرَ من الينابيع الأخرى هو الأخْبَارُ العربية والشعرُ العربي والأمثالُ ...

أمّا المصدر السادسُ فهو تلك العقليةُ الحجاجية التي ولّدها العقلُ المعتزلي متأثّرا بعِلْم الكَلاَم. وهذه الحجاجات الكلامية مبثوثة في الكتاب. وقد خصَّص الجاحظ الجزءَ الأول والثاني منه لهذا الحجاج، فنرى هناك قوله، "وقال صاحبُ الدِّيك " "و قال صاحِبُ الكَلْب " " و قال صاحِبُ النَّعامة". ويذكرُ الجاحظ في هذا الجدال محاسن كلّ حيوان ومساوئَه ومعلوماتٍ كثيرة عنه، وبلا شكٍّ ليس هناك اثنان مُتَجَادلان فهو من كلام الجاحظ ليدلّ بذلك على قُدرته الكلامية وسَعَة علمه".

أحمد عبد زيدان. من مقال الحيوان عند الجاحظ مجلة المورد،
دار الجاحظ العراق المجلد 7 العدد 4 1978 ص 60

2– المعنى الأسنى هو الحكمة

"المعنى الأسْنى عنده (الجاحظ) هو الحكمةُ باعتبارها مدلولَ الكون بما فيه. يقول صاحبُ الحيوان في جملةٍ نعتقد أنّها تحيطُ بتصوّره للوجود وتكشف غايتَه من التأليف : وَوَجَدْنا كَوْنَ العالَم بما فيه حكمة. وبناءً على معنى المعاني هذا ومقولةِ المقولات، سَيُرتِّبُ الموجوداتِ في أقسامٍ وأصنافٍ تخدم مباشرة غَرضَه وتُعِينُه على إقامةِ مشروعهِ الفكريّ من التأمّلِ في الخلق."

حمادي صمود. من مقال الوعي بالأجناس الأدبية في كتاب الحيوان للجاحظ /
مجلة حوليات الجامعة التونسية كلية الآداب جامعة منوبة /العدد 45 – 2001 ص 206

من مبادئ المعتزلة الخمسة

الوعد والوعيد

هذا مبدأ يتعلّق بأعمال الإنسان وحُكْمِها الدينّي . فَهُم يعتبرون أنّ الثوابَ على الحسنات حتميّ وأنّ العقاب على المعاصي لابدَّ منه. فالخالقُ قد وَعَدَ وأوْعَدَ فإذا لم يُجازِ المحسنين ولم يعاقب المذنبين فقد أخلف وعدَه ووعيده وهذا لايكون.

كتاب التفكير الاسلامي
تأليف جماعة من الأساتذة الديوان التربوي، الشركة التونسية للتوزيع (د.ت) ص 101

المفاهيم

1– الاستدلال البلاغي

"فالاستدلالُ، على ما تفصحُ عنه الصيغة العربيّة، طلبٌ للدّليل يفترض معطيات ثلاثة على الأقلّ هي الدليل المطلوب والنتيجة ... وعملية الاستدلال التي تمثل العلاقة الرابطة بين الدليل والنتيجة. وقد عبَّر جايز (Jayez) عن هذه النواة الصلبة بافتراضه وجود مجموعة عناصرَ ينطلق منها وعنصرٍ نصل إليه وإجراءٍ صريح وغير صريح يمكّن من الانتقال".

شكري المبخوت. الاستدلال البلاغي دار المعرفة للنشر
وكلية الآداب والفنون بجامعة منوبة رط1/2006 ص ص 18 – 19

2– المعرفة الحسّيّة والمعرفة العقلية

"فالمعرفةُ الحسيةُ، وهي أدنى المستويات المعرفية الثلاثة، لا تُجرِّد الشيءَ عن مادته وعن اللواحق التي تلْحقُه، وتقوم على مباشرةِ الشيء المحسوس. وفي الوقت نفسه تعتمدُ على آلة جسمانية، ومِنْ ثَمَّ فهي مرتبطة أبدا بالبدن. أمّا المعرفة التّخيّليةُ فهي، مهما ارتفعتْ عن الحسّ، لا تُجرّد الشيءَ من لواحقِ المادة تماما وتصبح غير مُبرّأة مِن الحسّ ممّا قد يجعلها عُرضة للخطإ، وهي تعتمد على آلاتٍ جسمانية ترتبط بالبدن أيضا، وفضلا عن ذلك فإنّها تظلّ معرفة جزئية. وأمّا المعرفة التي يقدّمها العقلُ فهي معرفة كلّية مُجردةٌ وإنْ كان العقلُ يقدِّم لنا مستويين من المعرفة العقلية، الأولُ يقوم على تجريد الشيء من لواحقه ومن هنا يعتمد على الحسّ والتخيّل، والآخرُ يعقل أشياء بريئة تماما عن المادة ."

الفت كمال الروبي. نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين دار التنوير لبنان ط 1 / 1983 ص 5

النّصّ عدد 6

حاجة العقل إلى الشّحذ

التمهيد

رفع الجاحظ، شأنه في ذلك شأن المعتزلة، من منزلة العقل وعدّه ميزة ميّز الله بها الإنسان على سائر المخلوقات وفضيلة كرّمه بها. والعقل أداة المعرفة ووسيلة الإنسان إلى إدراك الظواهر الطبيعية وفهم أحوال الاجتماع الإنساني والأخلاق والقيم وبيان حكمة الخالق في خلقه.

والعقل كما يقول الغزالي : «منبعُ العلم ومَطْلَعُه وأساسُه والعلم يجري منه مَجْرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤيةِ من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة ؟»

الغزالي. إحياء علوم الدين دار القلم بيروت ج 1 ص 71

والعقلُ حفظك اللّه أطولُ رَقْدَةً من العين وأحوجُ إلى الشَّحْذ(1) من السيف وأفقر إلى التعهّد وأسرعُ إلى التغيّر وأدواؤه أقتلُ وأطباؤهُ أقلُّ وعلاجُه أعْضَلُ(2). فمنْ تداركَه قبل التفاقُم(3) أدْركَ حاجته، ومَنْ رامه بعد التفاقم لم يدرك شيئا من حاجته. ومِنْ أكبرِ أسبابِ العِلم كثرةُ الخواطر(4) ثم معرفةُ وُجوه المطالب(5). ثمّ في الخواطر الغثُّ والسمينُ والفاسدُ والصّحيح والمسرعُ إليك والبطيءُ عنك والدقيقُ الذي لا يكادُ يُفهم والجليلُ الذي لا يلقي الفهم. ثمّ هي على طبقاتها في التقديم والتأخير، وعلى منازلها في التباين والتمييز. والمطالبُ طُرُقٌ، ولِدَرْكِ الحقائق أبوابٌ. فمنْ أخطأَها وانتظر كان أسوأَ حالا مِمَّنْ لم يخطئها ولم ينتظرْ. وعلى قدر صِحّة العقل يصِحّ الخاطرُ، وعلى قدر التفرّغ يكون التنبّهُ. هذا جماعُ هذا الباب وجمهورُه وأقسامُه وجملتُه. ثمّ مِنْ أنفعِ أسبابه الحفظُ لما قد حُصِّل والتقييدُ لما ورد والانتظارُ لما لم يرد وأنْ لا تُخْلِيَ نفسَك من الفكرة إلاّ بِقَدْر جَمام الطبيعة، وأنْ تعلم أنّ مكان الدرس من الحفظ كمكان الحفظ من العلم وأنْ تعرف فصْل ما بين طلبِ العلم للمنافسة والشهرة وبين طلبه للرغبة والرهبة، وأنْ تعلم أنّ العلم لا يجودُ بمكْنونه(6) ولا يسمح بسرّه ومخزونه إلا لمَنْ رغبَ فيه لِكَرم عنصره وفَضْلُه لحقيقة جوهره ورفعَه عن التكسب وصَانه عن التبذّل، وأنّه لا يُعطيك خالصَ الحكمة حتّى تُعطيَه خالصَ المحبّة. وكان يقال : مَنْ شَابَ(7) شِيبَ له. وخَصْلةٌ ينبغي أن تعرفها وتقف عندها وهي أنْ تبدأ من العلوم بالمهمّ وأنْ تختار من صنوفه ما أنْتَ أنشطُ له والطبيعةُ به أَعْنى، فإنّ القبول على قدر النشاط والبلوغ فيه على قدر العناية. ثمّ من أفضل أسبابه تخليصُ أخلاقه وتمييزُ أجناسه والمعرفةُ بأقداره حتّى تعطي كلَّ معنى حقّه من التقريب والرِّفعة وقسطَه من الإبْعاد والضعة حتّى لا تتشاغل إلا بالسَّمين الثمين وبالخطير النفيس ولا تلقي إلا الغثّ الخسيسَ والحقيرَ السخيفَ. فإنكّ متى كُنتَ كذلك لم تَعْتَبِرْ فضلَ ما بين النَّظَرِيْن ولا صَرْفَ(8) ما بين النَّعتيْن. والكَيْسُ(9) كلُّ الكيْس والحِذْقُ كلّ الحذق أن لا تعْجَلَ ولا تبطئَ وأن تعلم أنّ السرعة غيرُ العجلة وأنّ الأناة خلافُ الإبطاء وأن تكون على يقين من دَرْكِ الحقّ إذا وفّيْتَهُ شرْطَهُ وعلى ثِقة من ثوابِ النَّظر إذا أعطيته حقّه.

الجاحظ. الرسائل تحقيق عبد السلام هارون–الجزء الثالث ص 104 /106

الشرح

1) **الشَّحْذ** : شَحَذَ السيفَ ونَحْوَهُ : أَحَدَّ سِنَانَهُ. ويقال شَحَذَ ذِهْنَه.
2) **أَعْضَلُ** : أَعْسرُ.
3) **التَّفَاقُم** : تَفَاقَمَ الأمرُ : اسْتَفْحَلَ شَرُّه.
4) **الخَوَاطِر** : مفردُها الخاطِرُ : ما يخْطُرُ في القلْب من تدْبير أو أمْر.
5) **المَطَالِب** : المقاصدُ – المبَاحث.
6) **مكْنُونه** : المكْنُون : المسْتُور البعيدُ عن الأعْيُن.
7) **شَابَ** : شابَ فلان يشُوبُ في بيْع أو شراء : خَدَع، غشَّ. شاب في قوله : كَذبَ. يقال : هو يشوبُ ويرُوب : يخلط في قوله وعمله.
8) **صَرْف** : الزيادةُ والفَضْلُ.
9) **الكَيْسُ** : العقْل ج كُيُوسٌ.

الفهم والتحليل

1– تقوم البنيةُ الحجاجية للنصّ على طرح القضية فتحليلِها فاستخلاصِ موعظة. حدّد هذه الأقسام.
2– حدِّد طرفي الخطاب وبيِّن العلاقة بينهما.
3– استخرج من العبارات والأساليب ما يدلّ على أن الخطاب تعليميّ.
4– قام الإقناع على مبدإ التعداد والتركيم. هات قرائن تؤكّد ذلك.
5– قدّم الجاحظ برنامجا في طلب العلم، ما هو هذا البرنامج ؟ وما خصائصه ؟
6– ما العلاقة بين العلم والعقل ؟ وما شروط تحقُّق هذه العلاقة ؟
7– عقد الجاحظ علاقة بين العلم وطالبه. ما الخصالُ التي يجب أن يتحلّى بها الطالبُ كي يستجيب له العلم ؟
8– اشرح "أن تعرف فَصْل ما بين طلب العلم للمنافسة والشهرة وبين طلبه للرغبة والرهبة" مبينا الغاية من العلم حسب الجاحظ. هل تجد في هذا إشارات إلى مبادئ الاعتزال ؟

النقاش

- يرى الجاحظ أنّ دَرَكَ الحقائق لا يكون إلاّ بالعقل. إلى أيّ حدّ تتّفق معه ؟ استعن بما درست في الفلسفة.
- "لا يجود العلم بمكنونه إلا لمن يرغب فيه ولا يعطي خالص الحكمة إلا لمن يعطيه خالص المحبة". ادعم هذا الرأي بأمثلة من تجاربك الخاصة أو تجارب غيرك في العلاقة بمواد الدّرس.

بمناسبة هذا النصّ

البلاغة	**القصر** : من أدواته (لا ... إلاّ / ما ... إلاّ / لا ... حتّى / لا ... سوى / ما ... غير، إنّما (ما وإلاّ). والقصر تأكيد على تأكيد (إنّما العالِمُ مثلُ السِّراج : ابن عبد ربّه) كما يفيد القصر عادة مجرّد الحصر (إنّما المسيحُ بنُ مريَمَ رسولُ الله) والمبالغة (ومَا الدّهر إلاّ من رُواة قصائدي: المتنبّي) و تلازم أمرين (مَا أَضْمَرَ أحَدٌ شيئا إلاّ ظهر في فلتات لسانه ... علي بن أبي طالب) **استخرج من النصّ مثالاً على ذلك وبيّن ما أفادَهُ.** **السجعُ** اشتراك فاصلتيْن أو ثلاث فواصل من النصّ في الحرف الأخير . **الازدواجُ** اشتراك الفاصلتين في الصيغة الصرفية (الوزن) دون الحرف الأخير. يَشترط البلاغيون في السجع والازدواج عدَم التكلّف حتّى لا يذهب التكلُّف بشرف المعْنَى كما يشترطون الوقوف على السكون في السجع. وظيفتُهما صوتية بالأساس وتأثيرية "إذ الخواتم ألصقُ بالأسماع".

بمناسبة هذا النصّ

الكتابة	يقول الجاحظ "وينبغي أن يكون سبيلُنَا لمنْ بعدَنا كسبيلِ مَنْ كان قبلنا فينا. على أنّا قد وجَدْنا من العِبرة أكثرَ ممّا وجدُوا كما أنّ مَنْ بَعْدَنَا يجد مِن العبرة أكثر ممّا وجَدْنَا. " الحيوان ج 1 ص 76 ويقول : "وإنّمَا الأدبُ عقلُ غيرِك تَزيدُه في عقلِكَ " رسالة المعاش والمعاد اكتب نصّا تدعم فيه رأي الجاحظ في العقل وتبيّن فيه كيف أنّ الشعوب عبر التاريخ تساهم في بناء المعرفة الإنسانية.

تنويـــر

من آراء الجاحظ

1– الترغيب والترهيب

يقول الجاحظ "دَعاهم بالترغيب إلى جَنَّته وجعلَها عوضا ممّا تركوا في جنب طاعته أو زجرهم بالترهيب بالنار عن معصيته وخَوَّفهم بعقابها على ترك أمره ... ثم أقام الرغبة والرهبة على حدود العدل وموازين النَّصفة وعدّلهم تعديلا متّفقا فقال" فَمَنْ يَعْمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خيرا يَرَهُ ومَنْ يعملْ مثقالَ ذرّة شرا يره"*

* سورة الزلزلة الآيتان 7 و8.

من رسالة المعاش والمعاد. رسائل الجاحظ
تحقيق عبد السلام هارون ط / 1979 ج 1 ص 105

2– العقل المطبوع والعقل المكتسب

يقول الجاحظ "وقد أجمعت الحكماءُ أنّ **العقلَ المطبوعَ** والكرمَ الغريزيَّ لا يبلغان غايةَ الكمال إلاّ بمعاونة **العقل المكتسب** ومَثَّلُوا ذلك بالنارِ والحطب والمصباح والدّهن وذلك أنّ العقل الغريزيّ آلةٌ والمكتسبَ مادة. وإنّما **الأدبُ عقلُ غيرِك تزيده في عقلك**".

رسالة المعاش والمعاد رسائل الجاحظ دار الحداثة ج 1 ص 76

3– الحفظ والاستنباط

يقول الجاحظ "والقضيّةُ الصحيحة والحُكم المحمود أنّه متى أدام الحفظَ أَضرَّ ذلك بالاستنباط. ومتى أدام الاستنباطَ أضرّ ذلك بالحفظ، وإن كان الحفظُ أشرَفَ منزلة منه. ومتى أهملَ النظرَ لم تسرع إليه المعاني، ومتى أهملَ الحفظَ لم تَعْلقْ بقلبه وقلّ مُكثُها في صدره.

وطبيعةُ الحفظ غيرُ طبيعة الاستنباط. والذي يُعالجان به ويستعينان متّفقٌ عليه ألَا وهو فراغُ القلب للشيء والشهوةُ له وبهما يكون التمامُ وتظهر الفضيلة.

ولصاحب الحفظ سببٌ آخر يتّفقان عليه وهو الموضعُ والوقت. فأمّا الموضعُ فأيّهُما يختار إذا أراد ذلك الفوْق دون السِفْل. وأمّا السّاعاتُ فالأسحار دون سائر الأوقات لأنّ ذلك الوقت قبل وقت الاشتغال، وبِعَقِب تمام الراحة والجمام لأنّ للجمام مقدارا هو المصلحةُ كما أنّ لِلكدِّ مقدارا هو المصلحة. "

رسائل الجاحظ.

رسالة المعلّمين تحقيق عبد السلام هارون ط 1979 المجلد الثالث ص ص 29 /30

في الأثـر

1– مبدأ التمكّن والاستطاعة عند الجاحظ

يرَى الجاحظ أنّ قيمة الإنسان في قدرته واستطاعته، وبهما يتميّز الإنسانُ عن سائر المخلوقات من البهائم. والوسيلةُ التي بها يتحقّق هذا المبدأ هي العقلُ، فيقول "إنّ الفرق بين الإنسان والبهيمة والإنسان والسَّبع والحشرة ... ليس هو الصورة وإنّه خَلقَهُ من نطفة وأنّ أباه خُلق من تراب ولا أنّه يمشي على رِجليه ويتناول حوائجَه بيده لأنّ هذه الخصالَ كلَّها مجموعة في البُلْه والمجانين والأطفال والمنقوصين ... والفرق إنما هو الاستطاعةُ والتمكين وفي وجودِ الاستطاعة وجودُ العقل والمعرفة." (الحيوان ج 5 / ص ص 542–543) لذلك تعدّ الاستطاعةُ في فكر الجاحظ أساسا لوجود العقل الذي يترتّب على وجوده وجود المعرفة وبدونِ الاستطاعة تنتفي وظيفةُ العقل وفاعليته كما تنتفي المعرفةُ.

نصر حامد أبوزيد. الاتجاه العقلي في التفسير. دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة

دار التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان ط 3 – 1993 ص 50

2– العقل أساس البحوث

"**ومعلوم أنّ العقل هو أساسُ البحوث عند المتكلمين عامة والمعتزلةِ بوجه خاص** ولكنَّ استعمال الجاحظ للعقل لم يقتصر على البحوث العلمية الحيوانية بل كان له باعٌ طويل أيضا في البحوث الدينية التي خاضها المعتزلة تلقائيا أو بدافع الردّ على خصومهم لإظهارِ كلمة الدين والدفاعِ عن العقيدة بطُرق تجد صداها عند من لم يكفِهم الرجوعُ إلى السلف الصالح لتبديد شكوكهم وإزالة حيرتهم "

محمد اليعلاوي. أشتات في اللغة والأدب والنقد

دار الغرب الإسلامي ط 1 / 1992 ص ص 7– 15

من مبادئ المعتزلة الخمسة

– العـدل

"لئن كان كلُّ المسلمين يُؤْمنون بعدل الله فإنّ المعتزلةَ حاولوا التعمّق في معنى العَدْل وتحديدِه واعتبروا أنّ عدل الله لا يكون مطلقا تاما إلاّ إذا اعتبرنا :

أ– أنّ الله يَسِير بالخلق إلى غاية :

فإنْ انعدمتْ غايةُ الخلق وغايةُ الكون انعدمتْ حكمةُ الخالق وهذا ما يلخّصه الشهرستاني بقوله :"إنّ الحكيم لا يفعل فعلا إلاّ لِحكْمَة وغرضٍ. والحكيمُ إمّا أنْ ينتفع أو ينفَع غيَره . ولمّا تقدّسَ الله تعالى عن الانتفاع تَعيّن أنّه إنمّا يفعل لينفع غيره".

ب– أنّ الله يريد ما يكون لخلقه ولا يريد الشرّ ولا يأمر به :

فهذه الغاية التي خَلَقَ من أجلها الإنسانَ لا يمكن أن تكون إلاّ خيرا. فمِن المتحتّم إذن ألاّ يعمل اللهُ إلاّ ما فيه صلاحُ العباد وألاّ يريد الشرَّ ولا يأمرُ الإنسان به ولا يَخْفَى أنّ هذه المسألة من شأنها أن تثير نقاشا حادّا إذْ مواطنُ الشرّ كثيرة في هذا الكون ولا يمكن تفسيرُها إذا حصرنا أعمالَ الله في نطاق ما يراه الإنسانُ صالحا. وقد أجاب المعتزلةُ عن بعض الاعتراضات وعجزوا عن الإجابة عن الأخرى معلّلين ذلك بأنّ الإنسان قاصر عن إدراك كلّ الغايات التي يرمي إليها الخالق.

ج– أنّ الانسان خالقٌ لأفعاله :

لأنه لو لم يكن كذلك لبطل التكليفُ ولَمَا كانت أعمالُ الإنسانَ مَدْعَاة للمدح والثواب أو الذمّ والعقاب. فلا يكون الخالقُ عادلا في محاسبته للإنسان على أعماله إلاّ إذا كان للإنسان حريةُ الاختيار. وقد أثارت هذه المسألةُ جدالا عنيفا بين المعتزلة وخصومهم الذين يعتبرون أنّ في اعتبار الإنسان خالقا لأفعاله تحديدا لقدرة الله.

كتاب التفكير الإسلامي. الديوان التربوي ص 100

في الحجاج

1– المثلُ

"هو وسيلةٌ ناجعة للتعبير عن القيم والحقائق التي تختزلُ التجاربَ الإنسانية، وهو نوع من الاستدلال يقوم بنقلة نوعية من خلال الجمْع بين الاستقراء والمشابهة عن طريق الحَدْس حيث يُستعمل كقيمةٍ رمزية أو بمثابة مسلّماتٍ قيمية تستجيب للقضايا المطروحة عن طريق المرور من العام إلى الخاص أو العكس بهدف التدليل على قضية ما أو المساهمة في تأسيس قاعدة خاصة تكون بمثابة حالة مجردة تجعل المستمع يستند خلالها إلى أطروحة معيّنة، ويتبين أن الهدف من المثل هو تقوية درجة التصديق بقاعدة أو فكرة أو أطروحة معلومة تقدّم ما يُوضّح القولَ العام ويقوّي حضوره في الذهن.

وفي نفس السياق يؤكد الزمخشري أنّ الأَمثال هي زيادة في الكشف وتتميم للبيان، تَضْرب العربُ الأمثال لإبراز جليّات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتّى تُريكَ المتخيَّلَ في صورة المحقَّق والمتوهَّم في صورة المتيقَّن والغائبَ كأنه مُشاهَدٌ. وفيه تبكيتٌ للخصم وقمعٌ لِسَوْرة الجامحِ الأبيّ. ويكون الغرضُ منه كما يقول السيوطي تصوّرَ المعاني بصورة الأشخاص لأَنها أثبتُ في الأَذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواسِّ، ومن ثمّ كان الغرضُ بالمثل تشبيهَ الخفيّ بالجلّي والغائبِ بالمشاهد."

عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغيّر. مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج.
إفريقيا الشرق. المغرب 2006 ص ص 94 – 95

2– وجاهة الحجج

"يتمّ اعتمادُ خطّة مدروسة لكي يكون الخطاب الحجاجيّ ناجعا يحقّق وظيفةَ الاقتناع ويحملُ المتلقّي على تغيير رأيه وموقِفه من المسألة المطروحة أو يدعوه إلى إنجاز عمل أو يحمله على التحوّل من موقع المعارض إلى موقع الموافق، وهي تستند إلى شروط عديدة أهمّها :

أ– ينتقي المحاجّ مجموعةً مختلفة من الحجج تلائم الأطروحة لأنّ الحججَ التي لا علاقة لها بوجهة نظر المحاجّ لا قيمة لها في سيرورة الحجاج.

ب– يتخيّر المحاجُّ حججه لتناسب وظيفة النصّ.

ج– يتنخّل المحاجُّ حججه لتناسب المقام والسّياق . وعلى ضوء ذلك يرتّب حججه من الأقوى فالأقلّ قوّة أو العكس ويتخيّر المحاجّ معجم الحجج مراعيا مستوى المتقبّل الثقافيّ .

د– يصطفي المحاجّ أساليب خِطابية ومؤشرات لغوية وروابط منطقيّة تلائم حججه وتزيدها قوّة.

هـ– يجعل المحاجّ فقراتِ النصّ ووحداته متماسكة مترابطة ترابطا منطقيا . وفيها تتحقّق ملاءمة الحجّة للمعطى وموافقتها لسيرورة الحجاج."

كتاب "التدريب على الإنشاء. الحجاج" تأليف مجموعة من المتفقدين والأساتذة،
دار سيراس للنشر 2000 ص ص 70 –71

النّصّ عدد 7

وجوه إدراك العلم بما هو غائب

التمهيد

من أهمّ مصادر المعرفة عند الجاحظ ما يسمّيه الخبَر القاهرَ أي الأخبار التي لا شكّ في صحّتها، من جنس ما يرويه الرواة الثقات أو ما تداوله العرب واشتهر. وللجاحظ شروط لقبول الخبر القاهر بالتمحيص والتمييز. أمّا العلم بما لا تدركه الأبصار فالإيمان به متروك إلى الظنّ وإلى القلب.

واعلمْ أنَّ كلَّ علمٍ بغائبٍ(1)، كائنًا ما كان، إنَّما يُصاب من وجوهٍ ثلاثة لا رابع لها، ولا سبيلَ لكَ ولا لغيرك إلى غاية الإحَاطاتِ(2) لاسْتئْثار الله بها. ولنَ تَهْنَأ بعيشٍ مع شدّة التَّحرُّز (3)، ولن يتّسقَ لك أمرٌ مع التضييع(4). فاعرفْ أقدارَ ذلك.

فما غابَ عنك مما قد رآه غيرُك ممَّا يُدْرَك بالعِيان فسبيلُ العلم به الأَخْبارُ المتواترةُ التي يحملُها الوليُّ والعدوُّ والصّالح والطّالح، المستفيضةُ(5) في الناس. فتلك لا كُلْفة على سامعها من العلم بتصديقها. فهذا الوجهُ يستوي فيه العالم والجاهلُ.

وقد يجيء خبرٌ أخصُّ من هذا إلاَّ أنَّه لا يُعرف إلاَّ بالسُّؤال عنه والمفاجأةِ(6) لأهله كَقَوْم نَقَلُوا خَبَرًا، ومثلُك يحيط علمُه أنَّ مثلَهم في تفاوتِ أحوالهم وتباعُدِهم من التَّعارف لا يُمكن في مثلِه التَّواطؤ وإنْ جَهِلَ ذلك أكثرُ النّاس.وفي مثل هذا الخبرِ يمتنع الكذبُ ولا يتهيَّأ الاتفاقُ فيه على الباطل.

وقد يجي ء خبرٌ أخصُّ من هذا، يحمله الرجلُ والرجلانِ ممن يجوز أن يَصدُقَ ويجوز أنْ يكذِب. فصِدقُ هذا الخبر في قلبك إنَّما هو بحُسن الظَّنّ بالمخبرِ والثِّقة بعدالته .ولن يقومَ هذا الخبرُ من قلبك ولا قلبِ غيرك مقامَ الخبرين الأوَّلين أبدًا .ولو كان ذلك كذلك بَطَلَ التصنُّع بالدِّين واستوى الظاهرُ والباطنُ من العَالمِين.

ولماَّ أنْ(7) كان موجودًا في العقول أنَه قد يُفتَّش بعضُ الأُمناءِ عن خيانةٍ وبعضُ الصَّادقين عن كذبٍ وأنَّ مِثل الخبريْن الأوَّلين لم يتعقّب النّاسُ في مثلهما كذِبًا قطُّ، عُلِم أنَّ الخبرَ إذا جاءَ من مِثلِهما جاء مجيء اليقين وأنَّ ما عُلِم من خبر الواحدِ فإنَّما هو بحُسْن الظنِّ والائتمان.

فهذه الأخبار عن الأمور التي تدركُها الأبصارُ.

فأمّاَ العلم بما غابَ مما لا يُدركه أحدٌ بعِيان ، مثل سَرائر(8) القلوب وما أشبَهها فإنَّما يُدرَك علمُها بآثار أفاعيلها(9) وبالغالِب من أمورها على غير إحاطةٍ كإحاطة الله بها.

وأوّلُ العِلم بكلِّ غائبِ الظُّنون. والظّنونُ إنّما تقع في القلوب بالدَّلائل، فكلّما زاد الدليلُ قَوِيَ الظَنُّ(10) حتَّى ينتهيَ إلى غاية تزولُ معها الشكوكُ عن القلوب وذلك لكثرةِ الدلائل ولتَرادُفها. فهذا غايةُ علم العِباد بالأمور الغائبة.

فمن عرف ما طُبع عليه الخَلْقُ وجرتْ به عاداتُهم وعرفَ أسبابَ اتّصالهم واتّصاله بهم وتقصّى عِللَ ذلك، كان خليقًا – إنْ لم يُحطْ بعلم ما في قلوبهم – أن يقعَ من الإحاطة قريبًا. واعلمْ أنّ المقادير ربَّما جرت بخلاف ما تقدِّر الحكماءُ ، فنال بها الجاهلُ في نفسه المختلطُ في تدبيره ما لا ينال الحازمُ الأريبُ(11) الحذِرُ. فَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ما ترى من ذلك إلى التَّضييع والاتّكالِ على مثل تلك الحال، فإنّ الحكماءَ قد أجمعتْ أنّ مَن أخَذَ بالحزم وقدَّمَ الحذرَ، فجاءت المقاديرُ بخلاف ما قدَّر، كان عندهم أحمدَ رأيًا وأَوْجَبَ عذرًا ممَّن عمل بالتفريطِ وإن اتّفقتْ له الأمورُ على ما أراد.

الجاحظ. الرسائل

تحقيق عبد السلام هارون الجزء الأول ص ص 119–127

الشرح

1) **غائب** : غَابَ عنِّي الأمرُ غيْبًا وغيَابًا : بَطَنَ، غاب يَغيبُ : خلافُ حَضَرَ، الغَيْبُ : ما غَابَ عن العُيون وإن كان مُحصَّلا في القُلوبِ.

2) **الإحاطاتُ** : جمع مفردُه إحاطةٌ. مصدر متعلِّق بأحَاطَ بالأمر : أدركه من جميع نواحِيه. الإحاطات كلُّ من أَحْرَزَ شيئا وبلغ عِلمُه أَقْصَاهُ فقدْ أحَاطَ بِهِ أي عَلِمَه من جميع جهاته.

3) **التَّحَرُّز** : تَحَرَّزَ منه : تحصَّنَ منه وتوقّاهُ.

4) **التَّضْييع** : الإهْمَال.

5) **المُستفيضَة** : اسمُ فاعل متعلّق باستفاضَ في الشيء : أَطْنَبَ. المُستفيضةُ : الذَّائعةُ والمنتشرةُ.

6) **المُفاجأَةُ** : فاجَأَهُ : هَجم عليه من غير أن يشعر به، جَاءَهُ بَغْتَةً من غير تَقَدُّم سبَبٍ.

7) **أنْ** : حرف موْصول زائدٌ يفيد التوكيد، وقع في النصّ بعد "لمَّا التَّوْقيتيّة".

8) **سَرَائِر** : مفردها سَريرة : ما يُكْتَمُ ويُسَرُّ.

9) **أفاعِيلها** : صيغة جَمْعِ الجمع. الفعل ج فِعَالٌ وأفعَالُ : العَمَل.

10) **الظَّنُّ** : هو الاعتقادُ الراجحُ مع احتمال النّقيض، ويستعمل في اليقين والشكِّ (التعريفات للجرجاني ص 144)

11) **الأَريبُ** : صفة متعلِّقة بأَرِبَ يَأْرُبُ أَرَابَةً : عَقَلَ وصَارَ بَصيرًا.

الفهم والتحليل

1– قسّم النّصَّ باعتماد الوجوه الثلاثة في إدراك العلم كما وردت.

2– الخطاب تعليميّ. حدّد طرفيْه واذكر القرائن (خاصة الأسلوبية منها) التي تحمل المتقبّل على التصديق

3– تتبّعْ بناء النّصّ. هل تراه يخضع لمنطق مقصود يخدم الغاية التعليمية ؟

4– هل قدّم الجاحظ الوجوه الثلاثة بنفس الوضوح والتحليل ؟

5– انظر في ترتيب الأخبار عن الأمور التي تدركها الأبصار وتَبَيَّنْ كيفية الوثوق بها.

6– تتجلّى بعض مظاهر المنزع العقلي في تعامل الجاحظ مع الأخبار. استخرج القرائن الدالة وبيّن كَيْف تدعم منهجه.

النقاش

- مارأيُك في تقسيم الجاحظ الناس في العلم بما هو غائب إلى عالم وجاهل ؟ ادعم موقفك بشواهد من النصّ ومن خارجه.
- مِنْ وسائل المعرفة العلمية عند الجاحظ "الخبُر القاهر". هل توافق على أنَّ ما جاء في النصّ يوصل الباحث إلى هذا النوع من الخبر ؟

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	أ– صيغة الأمر (اعلَمْ واعرف) صيغة فعليّة يقصد بها المتكلّمُ إنشاء طلبه من المخاطب إحداثَ فعل غير موجود لحظة الطلب .. وعادةً ما يكون الآمرُ في مرتبة أعْلى من المأمور. ومن شروط نجاح الأمر في هذا المعنى، إلى جانب توفّر القصد عند الآمر، أن يكون المأمور قادرا في التصوّر على إنجاز مضمون الأمر وأَنْ يعرف كيفيّةَ إنجازه وأنْ تتوفّر عندَه بوجهٍ ما الرغبةُ في إنجاز ذلك المضمون. وهذه الأمورُ الثلاثة يقتضيها فعلُ الأمر ما قبليًّا. ولعلّ هذا يفسّرُ أنّ فعلَ الأمر لا يُتَّخذ من الألفاظ الثلاثة الدّالة عليها فلا تجد أمرًا منْ "استطاع" ولا من "أراد" ولا من "علِم" أو "عرف" **ما عدا بعض السياقات التعليمية حيث يستعمل الأمر من "علم" للتنبيه إذْ يرِدُ بعدها مضمونُ العلم.** » عن الأزهر الزناد "دروس في البلاغة العربية" المركز الثقافي العربي 1992 ص 121 **ب– لمّا** **لمّا** : ظرف مفتقر إلى الإضافة يقتضي جملة ماضويّة في محلّ جرّ مضاف إليه، ويكوّن معها مركّبا إضافيا في محلّ نصب مفعولا فيه، يقع تحت عمل الفعل الرئيسيّ الواقع بعده ويكون ماضيا. أمّا من حيث المعنى فهي تعبّر عن تزامن حدثين موجودين واجبين، لذلك قيل فيها حرف وجود لوجود، أو حرف وجوب لوجوب، ومعناه أنّ مضموني الحدثين وقعا في الزمان نفسه ماضيا. في النصّ أفادت لَمَّا التزامن بين حَدَثَيْن. الحدث الأول (لمّا كان موجودا ..) **حدّدْ الحدث الثاني وبَيّن دورَهُ في تفهّم المعنى المقصود فَهْمًا أفضلَ.** ج– لَنْ : حرفُ نفي ونصب واستقبالٍ، فهي في نفيِ المستقبل كالسّين وسَوْف في إثباته. وهي تفيد تأكيد النفي. (الغلابيني. جامع الدروس العربية ج 2 ص 169) في النصّ أدوات وعبارات تفيد التأكيد. استخرجها وبيّن دوْرَهَا في فهْم كَيْف يدعم المحاجُّ موقفَه.
الكتابة	ما فتئ الجاحظ يبيّن "حاجةَ الناس إلى استماع الأخبارِ والتفقّهِ في تصحيح الآثار." اكتب نصا تبيّن فيه كيف اعتبر الجاحظ الأخبار حُجَّة.

تنويـــر

من آراء الجاحظ

1– إنكار ضرْبيْن من الخَبر

يقول الجاحظ : " والحقُّ الذي أمرَ الله تعالى به ورَغَّب فيه وحثّ عليه أنْ ننكر من الخبر ضَرْبَيْن : أحدُهما ما تناقض واستحالَ، والآخرُ ما امتنع في الطبيعة وخرج من طاقة الخِلقة. فإذا خرجَ الخبرُ من هذين البابين وجرى عليه حُكْمُ الجواز فالتدبيرُ في ذلك التثبّتُ وأن يكون الحقُّ في ذلك هو ضالّتك والصّدقُ هو بُغيتك، كائنا ما كان، وقَع منك بالموافقةِ أمْ وقع منك بالمكروه. ومتى لم تعلمْ أنّ ثوابَ الحقِّ وثمرةَ الصّدق أجدى عليك من الموافقةِ لم تقع على أن تعطيَ التثبّت حقَّه".

كتاب الحيوان. الطبعة نفسُها ج 3–ص ص 238–239

2– الخطأ ثلاث

" والخطأ ثلاث : خطأُ الحِسّ وخطأُ الوهْم وخطأُ الرأي، كلُّ ذلك سبيلُه التنبيهُ والتذكيرُ والتقويمُ والتأنيب".

رسائل الجاحظ. كتاب التربيع والتدوير. تحقيق علي أبو ملحم ص 471

في الأثر

وسائل المعرفة العلميّة ثلاث : الخبر القاهر والعيان الظاهر والعقل المستدلّ

الخبر القاهر : ويعني به [الجاحظ] الروايةَ التي لا شكّ في صحّتها، مِنْ جنس ما يرويه الرواةُ الثقاتُ أوْ ما تداولَ عند العرب واشتهَر في أشعارهم مثلا فيقول : إذا لم يأتِنَا في تحقيقِ الأخبار شعرٌ شائع أو خبرٌ مستفيض لم نلتفت لَفْتَةً. تصوير ذلك : قبول خبر أبي عُبَيْدة في "وفاء الكلب" بدون نقاش لأنّ أبا عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى ثقةٌ في الرواة ثمّ لأنّ الخبر ليس فيه غرابة. وبالعكس، رفضُه خبر الضَّبُعِ الذي يكون عاما أنثى وعاما ذكرًا لخلوّ شعر العرب من إشارة إلى ذلك : "والعرب أخبرُ الخلق بِشَأْنِ الضَّبُع فكيف تركتْ ما هو أعجبُ وأطرفُ."

محمد اليعلاوي. أشتات في اللغة والأدب والنقد دار الغرب الإسلامي ط1/1992 ص 8

في الحجاج

1– في مراتب الحوارية ونظريات الخطاب

"يعتمد الحوارُ " في تصوّر النظرية "العَرضية" للحوارية الآليةَ الخطابيةَ التي يُطلق عليها اسمُ العرْض. وحَدُّ "العرض" أن يَنْفَردَ "العَارضُ" ببناء معرفة نظريّةٍ، سالكًا في هذا البناء طرقا مخصوصة يعتقد أنّها ملزمة "للمعروضِ عليه" فـ"العرض" بهذا الاعتبار هو ادّعاءٌ من حيث إنّ :

– "العارض" يعتقد صدق ما يعرض.

– ويُلزم "المعروضَ عليه بتصديق عرْضه.

– ويقيم الأدلّة على مضامين عرضِه.

– ويُوقن بصدقِ قضايا دليله وبصحّة تدليلِه.

طه عبد الرحمان. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام

المركز الثقافي الدار البيضاء ط2 –2000 ص ص 38–39

2- هدف الحجاج ونجاعته

"الهدفُ من الحجاج هو أن تؤثّر في الحُضور. والمعيارُ الأول للحُكْم على خطابٍ ما هو مدى نجاعته. لكنَّ هذا المعيار غيرُ كاف إذ لا يمكن تجاهلُ نوعيّة الحضور الموجّه إليهم الخطابُ.

يمكننا أن نميّز خطابَ السياسيّ أو المحامي أو العالِم أو الفقيهِ والفيلسوف ليس من موضوع الخطاب فقط وإنّما من الحضور الذي يوجَّه إليهم الخطاب أيضا. فالتقنيات التي تستعمل لإقناعِ الحضور الخاصّ قد لا تصلح للجمهور العام.

فالحجاج المنطقي هو ذاك الحجاج الذي عندما يتوجَّه إلى الحضور العام يقْدر على الفوز بقناعاتهم.

... ولكي يكونَ الحجاجُ ناجعا يجب أن يكون منظَّما فلا يكفي أن نُورِد الحججَ الواحدة تلو الأخرى بلا نهاية، بلْ يحسن الاكتفاءُ ببعض الحجج، والمهمُّ أن تُعرض الحججُ مرتّبةً ترتيبا يُكسِبها نجاعة أفضلَ. فبقدر ما يتدرّج الخطابُ تتحوَّلُ مواقفُ الحضور متأثرةً به فلا تفعل حجّة في الحضور فِعلَها ما لم يطرأ عليهم هذا التغيير."

عن موسوعة يُونيفَرْسَلِيس الموسوعة الكونية ط 1996/المجلّد الثاني مقال "الحجاج"

3- سيرورة التحوّل في الخطاب الحجاجي

في كلّ خطاب حجاجي سَيْرُورةُ تَحَوُّل Un processus de transformation شبيهٍ بالتحوّل المعروف في الخِطاب السّرديّ. ويمكنُ تمثيلُ ذلك على النحو التالي :

زمن1	الخِطاب السّردي	زمن 2
وضع الانطلاق	سَيرورة التحوّل	وضع الختام
موقف 1	الخِطاب الحجاجي	موقف 2
الأطروحة المرفوضة	سيْرورة التحوّل	الأطروحة المقترحة

إنّ الحجاج ليس عمليّة تأمّليةً مجرّدةً مثل العمليّة التي يقتضيها الوصفُ أو سردُ أحداثٍ معيّنة بل ظاهرة حواريةٌ بالأساس، وهذا ما يُكسبُ الخطابَ الحجاجي سِمَة الدينامية ثم إنَّ الحجاج ليس بالضرورة طريقة علمية لأنّه لا يقوم فقط على مستندات منطقية في كلّ مراحله. لذلك ينبغي التمييزُ بين الخطاب البُرْهاني Le discours démonstratif والخطاب الحجاجي Le discours argumentatif

دليل الأستاذ الخاص بمادة شرح النّصّ، التاسعة أساسي، المركز القومي البيداغوجي.

النّصّ عدد 8

منطق الطير

التمهيد
اللغة وما تحويه من بيان هي أقوى رابطة بين الكائنات الحيّة. فللطّير والنّمل منطقُها وللإنسان مَنْطِقُه. وإذْ مدار البيان عند الجاحظ الفهمُ والإفهامُ، فللغة وظيفة مرتبطة بالحاجة.
يقول الجاحظ في كتاب الحيوان ج 1 ص 44 " هو البيان الّذي جعله اللّه تعالى سببا فيما بينهم، ومعبّرا عن حقائق حاجاتِهم".

وَلَهَا مَنْطِقٌ(1) تتفاهم به حاجاتِ بعضِها إلى بعض. ولا حاجةَ بها إلى أن يكونَ لها في مَنْطِقِها فضْلٌ لا تحتاج إلى استعماله. وكذلك معانيها في مقادير حاجتها.
وقيل لرجل من الحكماء : متَى عقلتَ ؟(2) قال : ساعةَ وُلِدْتُ. فلما رأى إنكارَهم لكلامه قال: أمّا أنا فقد بكيْتُ حِينَ خِفْت، وطلبتُ الأكلَ حين جُعْتُ، وطلبتُ الثَّدي حين احْتَجْتُ، وسكتُّ حين أُعْطِيت. يقول : هذه مقاديرُ حاجاتي، ومَنْ عَرَف مقادير حاجاته إذا مُنِعَها وإذا أُعطِيَها فلا حاجةَ به في ذلك الوقت إلى أكثر من ذلك العقل. ولذلك قال الأَعْرابيّ :

سَقَى اللهُ أرضًا يعلَمِ الضَّبُّ أنَّها ... بعيدٌ من الآفاتِ طَيِّبةُ البَقْلِ
بنى بيتَه منها على رأسِ كُدْيةٍ ... وكلُّ امرئٍ في حِرْفة العَيش ذُو عقْلِ

فإنْ قال قائل : ليس هذا بمنطق، قيل له : أمّا القرآنُ فقد نطَق بأنّه منطِقٌ، والأشعارُ قد جعلته مَنطِقا وكذلك كلامُ العرب. فإنْ كنتَ إنّما أخرجتَه من حدِّ البيان(3)، وزعمتَ أنّه ليس بمنطق لأنّك لم تفهم عنه، فأنتَ أيضًا لا تفهم كلامَ عامَّة الأمم. وأنت إنْ سمّيْتَ كلامَهم رَطانةً(4) وطَمْطَمَة(5) فإنّك لا تمتنع من أن تزعم أنّ ذلك كلامُهم ومنطقهُم. وعامّةُ الأمم أيضا لا يفهمون كلامَك ومنطِقَك، فجائزٌ لهم أن يُخْرجوا كلامَك من البيان والمنطِق. وهلْ صار ذلك الكلامُ منهم بيانًا ومنطقًا إلا لتَفَاهُمِهم حاجةَ بعضهم إلى بعض ولأنّ ذلك كان صوتًا مؤلَّفا خرج من لسانٍ وفم ؟! فهلاّ كانت أصواتُ أجناس الطير والوَحْش والبهائم بيانًا ومنطقًا إذْ قد علمتَ أنّها مقطّعة مُصوَّرة، ومُؤَلَّفة منظمةٌ، وبها تفاهموا الحاجاتِ وخرجتْ من فمٍ ولسان. فإنْ كنتَ لا تفهم من ذلك إلاّ البعضَ فكذلك تلك الأجناسُ لا تفهَم من كلامك إلاّ البعضَ. وتلك الأقدارُ من الأصوات المؤلّفة هي نهايةُ حاجاتِها والبيانِ وكذلك أصواتُك المؤلّفةُ هي نهايةُ حاجاتك وبيانِك عنها، وعلَى أنّك قد تعلّمُ الطّيرَ الأصواتِ فتتعلّم وكذلك يُعلّم الإنسانُ الكلامَ فيتكلّم، كتعليم الصبيِّ والأعجميّ. والفرقُ بين الإنسان والطير أنّ ذلك المعنى معنًى يُسمَّى مَنْطِقا وكلاما على التشبيه بالنّاس.
وكذلك قال الشاعرُ الذي وصفها بالعقل، وإنّما قال ذلك على التَّشْبيه، فليس للشاعر إطلاقُ هذا الكلام لها، وليس لك أنْ تمنعها ذلك من كلِّ جهةٍ وفي كلّ حال. فافهم، فهّمَكَ الله، فإنّ الله قد

أمرك بالتفكّر(6) والاعتبار وبالتعرُّف والاتّعاظ.

25 وقد قال اللّه عزّ وجلّ مخبرًا عن سليمان : "يأيُّها النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّير"* فجعل ذلك مَنْطقا، وخصَّ اللّهُ سليمانَ بأن فهَّمه معانيَ ذلك المنطق وأقامه فيه مقامَ الطّير وكذلك لوْ قال عُلّمنا منطق البهائمِ والسِّباع لكان ذلك آيةً وعلامةً.

وقد علّم اللهُ إسماعيلَ* منطق العَرب بعد أن كان ابنَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سنةً، فلمّا كان ذلك على غير التلقين والتأديب والاعتياد والمنشأ صار ذلك برهانا ودلالةً وأُعْجوبةً وآية.

الجاحظ. كتاب الحيوان. الطبعة نفسُها الجزء السابع ص ص 56–58

* سورة النمل الآية 16

التعريف بالأعلام

* **سُليْمان** : سُليْمان الحكيمُ مَلِكُ إسرائيل (1008/978 ق.م)
* **إسماعيل** : ابنُ إبراهيم مِن هاجِر. يَنتسب إليه العربُ المُستعْرِبة وهم بنُو عَدْنان شماليّ الجزيرة العربيّة.

الشرح

1) **منْطِق** : مصدر ميمي متعلّق بنَطَقَ يَنطِقُ : تَكَلَّمَ. قال ابن سِيدَة : وقد يُستعمَل المنطق في غير الإنسان كقوله تعالى : "عُلِّمْنَا منْطِقَ الطَّيْرِ".
2) **عَقَلْتَ** : عَقَلَ الغلامُ عَقْلاً : أدْرَكَ.
3) **البَيَان** : بَانَ الشيءُ بَيَانًا : اتَّضحَ. البَيَانُ : ما بُيّنَ بهِ الشيءُ مِنَ الدَلالة وغيْرِهَا.
4) **رَطَانَة** : رَطَنَ العجَمِيُّ يَرْطُنُ رَطْنًا : تكلَّمَ بلُغَتِهِ. الرّطانةُ والمُراطَنَةُ : التكلّمُ بالعَجْمِيّة.
5) **الطَّمْطَمَة** : العُجْمَةُ.
6) **التَّفَكُّر** : تَفَكَّرَ في الأمر : أعمل عَقْلَهُ فِيهِ.

الفهم والتحليل

1– النَّصّ حِجَاجي. تبيَّنْ الأطروحةَ والأطروحة المضادَّةَ وتتبّعْ سَيْرُورَةَ الحجاج والنتيجةَ التي وصل إليها المُحاجُّ.
2– حدّد نمطَ الحِوار (تعليميّ/سجاليّ) بدراسة العلاقة بين المتحاورين معتمدا الضمائر والأساليب والعبارات الدالة.
3– تقوم سيرورةُ الحجاج على مقارنة بين منطق الإنسان ومنطق الطير. هل ساعدت المحاجَّ على دحض مقولة الطرف المعارض ؟
4– ما صلة الفقرة الثانية "وقيل لرجل من الحكماء ..." بالنصّ ؟ هل تراها ساعدت المحاجّ على إقناع خصمه؟
5– استخرج الحجج المعتمدة وبيّن نوعها.
6– هل يرى الجاحظ اختلافا بين منطق الطير ومنطق الإنسان ؟
7– ما وظيفة اللغة حسَب الجاحظ ؟
8– هل تجد في هذا النّصّ صدى لمبدإ المعتزلة القائل بخلق القرآن ؟ بيّن ذلك.

النقاش

- إلى أيّ حدّ توافق الجاحظَ في ما ذهب إليه بربط منطق الطير بمنطق الإنسان ؟ (استعن بما درست في موضوع اللغة في الفلسفة).
- رَبط الجاحظ "المنطق والكلام والبيان" "بالفهم والتفهّم". توسّع في هذه الفكرة مبيّنا حاجة الإنسان إلى معرفة لغة الآخر.

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	أ– هَلاَّ : + المضارع تفيدُ التَّحْضيض وهو الحضُّ على العَمل وترك التهاون فيه (هلاّ تحْمدُ اللهَ) هَلاَّ : + الماضي تفيدُ التنديمَ وهو التوبيخُ والتقريع على الإهمال (هلاّ احترمتَ الآخرين) الغلاييني جامع الدروس العربية ج 3ص 261 ب– إنْ : حرفُ شرط يُستعمل للربط بين حدثين ممكنين أوّلُهما ثانويٌّ وهو الذي تَتَصدّره (إنْ) يكون قيدا شرطيّا للحدث الثاني الرئيسيّ. كتاب النحو العربي لتلاميذ السنة التاسعة المركز القومي البيداغوجي ص 192 "إنْ : لاَ يكونُ الشرطُ فيها مَقْطوعا بوُقُوعه" كأَنْ تقول لِصاحبك "إنْ **تُكْرِمْنِي أُكْرِمْكَ**" فَأَنتَ لستَ على يَقين من أنه يُكْرِمُك. (عدم القطْع). عنْ القزويني الإيضاح في علوم البلاغة الشركة العالمية للكتاب 1 ص 178 **في النصّ تراكيب شرطيّة تتصدّرها "إنْ". وظّفها في فهم موقف المخاطِب.** ج– **هل ... إلاّ** : "هَلْ يُرادُ بالاستفهام بها النفيُ، ولذلك دخلتْ على الخبر بعدها إلاّ في نحو (هَلْ جزاءُ الإحْسَانِ إلاَّ الإحسَانُ) ... وإنّها للإنكار على ثلاثة أوجهٍ : منها إنكارٌ لِوُقوع الشيء. وهذا هو مَعْنَى النَفْي، وهو الذي تنفرد به هل عن الهمزة". ابن هشام – مغني اللبيب. الجزء الثاني ص ص 350–351
المعجم	– منطق : نطق الناطق ينطقُ نُطقًا : تكلّم. والمنطِق : الكلام. والمنطِيقُ البليغُ. وكتاب ناطِقٌ : بيِّنٌ. (لسان العرب) – **ابحث عن المفهوم الفلسفي للمنطِق.** – البيان : الفصاحة واللَّسنُ. وكلام بيّنٌ فصيح. والبيانُ الإفصاحُ مع الذكاء. والبيِّنُ من الرجال : الفصيح (لسان العرب) **ما مفهوم البيان عند الجاحظ خاصة وأنت تعلم أنه ألّف كتابا سمّاه "البيان والتبيين" ؟.**

"ولها منطق تتفاهم به"

تنويـــر

من آراء الجاحظ

1– كلام النمل

يقول الجاحظ : وَمَن العجَب أنّك تُنْكرُ أنّها تُوحي إلى أخْتِها بشيء والقرآنُ قد نطقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافا. وقال رُؤبة بنُ العَجَّاج :

لو كنْتُ عُلِّمتُ كَلاَمَ الحُكْل عِلْمَ سُليمانَ كَلاَمَ النَّمْل

وقال الله عزّ وجلّ : "حتّى إذا أتوْا على وادي النَّمْل قالتْ نَمْلةٌ : يَا أيّها النّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكنكُمْ لا يحطّمَنّكُمْ سُليْمانُ وجُنُودهُ وهم لا يشعرون. فتبسّم ضاحِكًا مِنْ قوْلِهَا وقَالَ رَبِّ أوْزِعْني أن أشْكُرَ نِعْمَتَكَ الّتي أنعَمْتَ عليّ. فقد أخبر القرآن أنّهَا قد عرفتْ سليمانَ وأثبتت عينَه وأنّ علمَ منطقها عندَه وأنّها أمرت صويحِباتِها بما هو أحزمُ وأسلمُ. ثمّ أخبرَ أنّها تعرف الجنود من غير الجنود.

الجاحظ. الحيوان– ج 4– ص ص 8–9

* سورة النمل الآية 18

2– الإنسان عن الإنسان أَفْهَمُ

يقول الجاحظ "الإنسانُ عن الإنسان أفهم، وطِباعُه بطباعهِ آنسُ، وعلى قدر ذلك يكونُ موقعُ ما يسمع منه. ثم لم يرضَ لهم من البيان بصنف واحد، بَلْ جَمع ذلك ولم يفرّقْ وكثّر ولم يقلّلْ، وأظهَر ولم يخفِ، وجعل آلةَ البيان التي بها يتعارفون معانِيَهم والتُّرجمانَ الذي إليه يرجعون عند اختلافهم في أربعة أشياء، وفي خصلة خامسة، وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها فقد تبدّل بجنسها الذي وُضعت له وصُرفت إليه، وهذه الخصالُ هي : اللفظُ، والخطّ، والإشارة، والعَقد، والخصلةُ الخامسة ما أوجَدَ من صحّة الدّلالةِ وصدقِ الشهادة ووُضوح البرهان في الأجرام الجامدة والصامتة والساكنة التي لا تتبيّن ولا تحسُّ ولا تَفهم ولا تتحرّك إلاّ بداخلٍ يدخل عليها أو عند مُمْسك خلّى عنها، بعد أنْ كان تقييده لها".

الجاحظ. الحيوان ج 1 ص 45

في الأثر

الكلام عند الجاحظ

يقول حمادي صمود عن الجاحظ : "هو أوّلُ مفكّر عربيّ نقف في تراثه على نظريّةٍ متكاملة تقدر أنّ الكلامَ وهو المظهرُ العمليّ لوجود اللغة المجرّد، يُنجَزُ بالضرورة في سياق خاصٍّ يجب أن تُراعى فيه بالإضافة إلى الناحية اللغويّة المحضِ جملةٌ من العوامل الأخرى كالسّامِع والمقامِ وظروف المقالِ وكلّ ما يقوم بين هذه العناصر "غير اللغوية" من روابط".

التفكير البلاغي عند العرب ط2، منشورات كلية الآداب بمنوبة 1994 ص 108

المفاهيم

1– المنطق

القياس يتركّب من القضايا، والقضايا تنحلّ بدورها إلى ألفاظ. كان من الطبيعي أن تبدأ مُصَنَّفات المنطق بدراسة الألفاظ المفردة وتركيبها عامة، يجري تصنيف الألفاظ إلى ثلاثة أقسام : فعل واسم وأداة.

الموسوعة الفلسفية العربية ط 1986. معهد الإنماء العربي ص 784

2– الرمز يميّز الإنسان عن الحيوان

" الفيلسوف الألماني أرنست كاسّيرار Ernest cassirer حاول في كتابه الضخم الصادر بين سنتي 1923 و1927 والمسمّى "فلسفة الأشكال الرمزية" أنْ يأتي بتفسير للنشاطِ الخاصّ بالإنسان والمسمّى الثقافة انطلاقا من اعتبارات لغوية. اللغةُ في نظره ليست مجرّد أداة، الإنسان حين يستعمل اللغة فإنّه يستعمل لغةَ منطوقة بعكس الحيوان الذي يستعمل لغةَ الصرخاتِ فقط ويكرّرها بنفس الطريقة دوما. واللغة المنطوقة ليست أداة لأنّها تستعمل للمَفْهَمة أي أنّها تستعيض عن الواقع بالمفاهيم، أي أنّها تلجأ إلى الرمز، وهذا اللجوء إلى الرمز يميّز

الإنسانَ نهائيا عن الحيوان حتى أنّنا نستطيع أن نقول إنّ الإنسان حيوان رمزي أي إنّه قادر على فهم الرموز وحلّها..."

الموسوعة الفلسفية العربية معهد الإنماء العربي ط 1986 ص ص 708–709

في الحجاج

1– **الشاهد** Illustration

هو طريقة تدور حول تقوية الأطروحة موضوع القول وتأكيدِهَا وذلك بإعطائهاَ مظهرا حيًّا وملموسا، إذْ لا يتعلّق الأمرُ بالتدليل بِقدر ما يعمل الشاهدُ على تحريك المخيّلة. وهذه الطريقةُ لا ترتبط بالضرورة بحقيقة الشاهد وإنّما يتجاوزُ شكلُها الحجاجي الإطارَ اللغوي ليرتبط بالمقتضيات التداوليةِ. وإذا كان استعمالُ الشاهد يقوم على تجسيدِ الفكرة باستحضارها في صورة شاخصة فإنّ الغايةَ منه لا تكمن فقط في تعويض المجرَّد بالملموس وتبديل أوْ نقل الأطروحات من مجال إلى مجال آخر – كما هو الشأن في المثل أو التّمْثيل -وإنّما تكمُن أساسا في تقوية الفكرة وتأكيد حضورها في الذهن، ولهذا فإنّ اختيارَ الشاهد يخضع لمعايير تقتضيها الشروطُ المقاميّة التي تجد لها صدى شعوريا وعاطفيا لدى المخاطَب ،فتقوم بدورِ المحرِّك لخياله وتفرِض عليه الانتباه وتُسهِّل عليه عمليّةَ الفهم.

والشاهدُ حسَب الجاحظ يستمدُّ طاقته من العيان والمشاهدة "وهو استشهاد على شيء ما بقرآن أو حديث أو شعر أو مَثَلٍ أو خبر مَرْوِيٍّ بهدف إثباته أو إنكاره أو الاحتجاج له أو بطلانه أو نحو ذلك". [البيان والتبيين] ج 1 ص 86.

عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق المغرب 2006 ص ص 96–97

2– **الأفعال المتداولة في الحجاج**

"فعلى مستوى أفعال اللغة المتداولة في الحجاج هناك الأفعالُ "العَرْضِية" التي تستعمل حسَب أُوسْتين Austin لِعرض مفاهيم وبسط موضوع وتوضيح استعمال كلماتٍ وضبطِ مراجع. مثال ذلك : أَكَّدَ، وأَنْكَرَ وأجابَ واعترض وَهَبَّ، ومثّل وفسَّر ونقل أقوالا". وعلى مستوى السّياق هناك أدواتٌ وتعابيرُ وصيغ تُضفي السِمة الحجاجية على تخاطبٍ ما، ممّا يجعل الحجاج يكون ضمنيّا أو صريحا. هكذا "نجد تعابير إنجازية موجّهةً إلى ربط قوَل ما بباقي الخطاب وبكلِّ السياق المحيطِ. من هنا نعثر على "أُجيبُ" و"أَسْتَنبطُ" و"أستخلص" و"أعترض" ... وتأتي هذه التعابير لتربط القول بالأقوال السابقة وأحيانا بالأقوال اللاحقة ... "لكن هناك مستوى آخر يتجلّى فيه البعدُ التداولي للخطاب الحجاجي، ويتمثّل في المستوى الحواري أو التحاوري سواء كانت ذوات هذا التحاور مُضمرةً أو متعدّدةَ الأصوات والأمارات."

حبيب أعراب. من مقال "الحِجاج والاستدلال الحجاجي" مجلة عالم الفكر العدد 1 المجلد 30 سبتمبر 2001 ص 102

3– **الحوار الشبيهي**

"خيرُ النصوص الحوارية التي يمكن أن تُشخِّص الطريقةَ التي تعمل بها آليةُ "العرْض" هي "الحوار الفلسفي" و"الحوار العلمي" الذي هو أبلغ المثالين على هذه الآلية. لذا نُسمّيه "الحوارَ الحقيقيّ" بينما نطلق على الآخر اسم "الحوار الشبيهي".

الحوار الشبيه : يختصُّ هذا الحوارُ بكَوْن "العارِض" فيه يتظاهر بإشراك غيره في طلب المعرفة وإنشائها، وتشقيقها، بينما هو في حقيقة الأمر آخذ بزمام توجيه "المعروض عليه" في كلّ مرحلة من مراحل الحوار. فهو الذي يُحدِّد"للمعروضِ عليه" مسألةً سبق أن تَدبَّرَها، ويعيّنُ طريقا لِبحثها خَبِرها من قبلُ، وينتهي إلى نتائج معلومة له."

طه عبد الرحمان. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام –المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء ط2/2000 ص 41

مثال تطبيقي

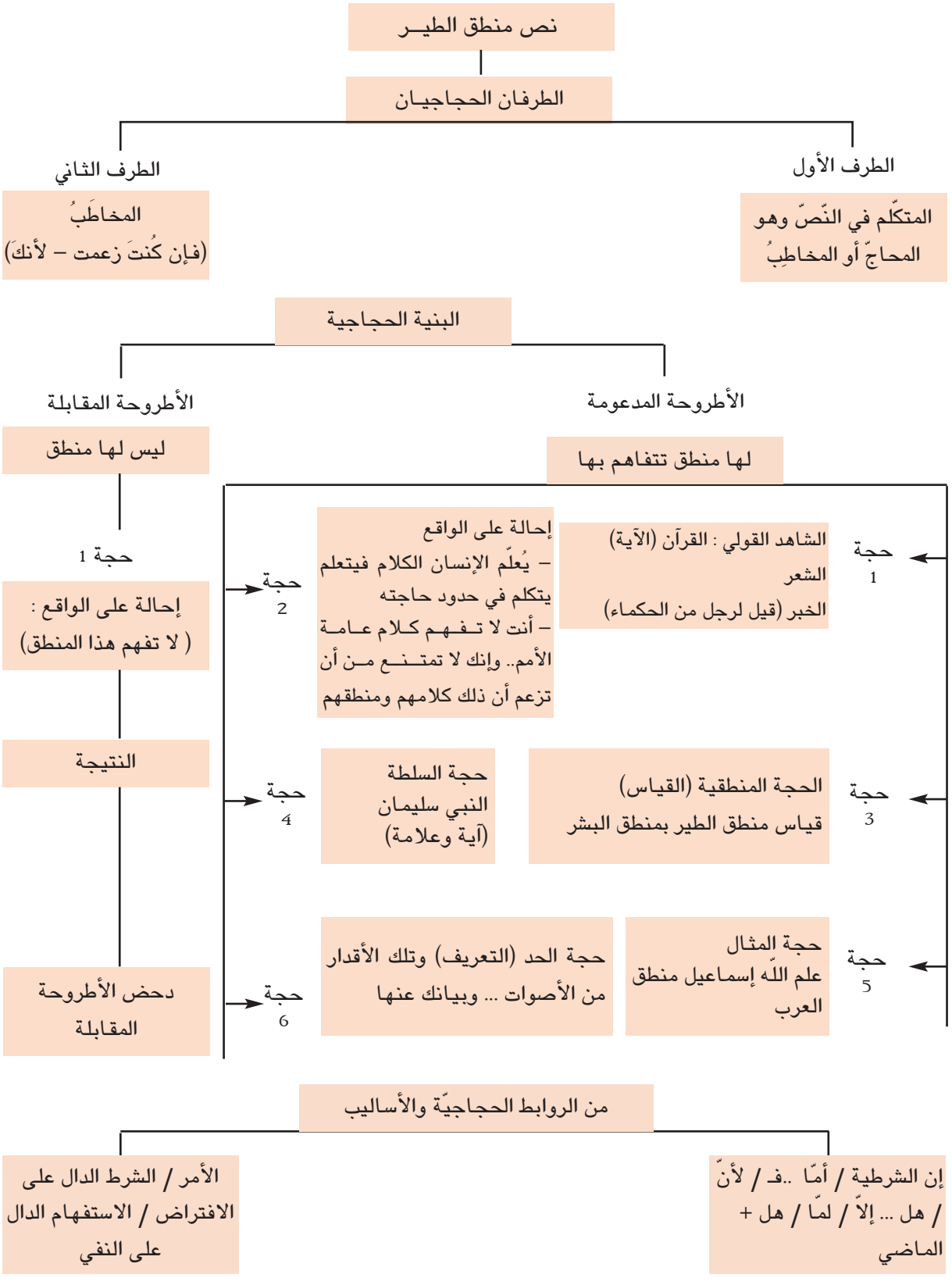
نص منطق الطيـر
الطرفان الحجاجيـان
الطرف الأول
المتكلّم في النّصّ وهو المحاجّ أو المخاطِبُ
الطرف الثاني
المخاطَبُ
(فإن كُنتَ زعمت – لأنكَ)
البنية الحجاجية
الأطروحة المدعومة
لها منطق تتفاهم بها
الأطروحة المقابلة
ليس لها منطق
حجة 1
إحالة على الواقع : (لا تفهم هذا المنطق)
النتيجة
دحض الأطروحة المقابلة
حجة 1
الشاهد القولي : القرآن (الآية)
الشعر
الخبر (قيل لرجل من الحكماء)
حجة 2
إحالة على الواقع
– يُعلّم الإنسان الكلام فيتعلم يتكلم في حدود حاجته
– أنت لا تـفـهـم كـلام عـامـة الأمم.. وإنك لا تمتـنـع مـن أن تزعم أن ذلك كلامهم ومنطقهم
حجة 3
الحجة المنطقية (القياس)
قياس منطق الطير بمنطق البشر
حجة 4
حجة السلطة
النبي سليمان
(آية وعلامة)
حجة 5
حجة المثال
علم اللّه إسماعيل منطق العرب
حجة 6
حجة الحد (التعريف) وتلك الأقدار من الأصوات ... وبيانك عنها
من الروابط الحجاجيّة والأساليب
إن الشرطية / أمّا ..فـ / لأنّ / هل ... إلاّ / لمّا / هل + الماضي
الأمر / الشرط الدال على الافتراض / الاستفهام الدال على النفي

النّصّ عدد 9

تفضيل الكلام على الصّمت

التمهيد
ألف الجاحظ رسالة سمَّاها " تفضيل النطق على الصمت" ورسالة أخرى "كتمان السرّ وحفظ اللسان" وإن كان فضّل الصمت في مواضع بعينها فإنّه إلى تفضيل الكلام أميل، فبالكلام يتميّز الإنسان عن الحيوانات والجمادات.

إنّي وجدتُ فضيلةَ الكلام باهرةً(1) ومَنْقَبةَ(2) المنطِقِ ظاهرةً في خلالٍ(3) كثيرة وخصال معروفة، منها أنّك لا تؤدِّي شُكرَ اللّه ولا تقدر على إظهارِهِ إلاّ بالكلام. ومنها أنّك لا تستطيع العبارةَ عن حاجاتك والإبانةَ عن مأربك(4) إلاّ باللّسان. وهذان في العاجل والآجل مع أشياءَ كثيرة لَوْ يَنْحُوها(5) الإنسانُ لوَجَدَها في المعقول موجودةً وفي المحصول(6) معلومةً وعند الحقائق مشتهرةً وفي التدبير(7) ظاهرةً.

ولم أجدْ للصّمت فضلاً على الكلام ممّا يحتمله القياسُ لأنّك تصف الصمتَ بالكلام ولا تصف الكلامَ به. ولو كان الصّمْتُ أفْضَلَ والسُّكوتُ أمثَلَ لما عُرفَ للآدَميينَ فضلٌ على غيرهم ولا فُرِقَ بينهم وبين شيءٍ من أنواع الحيوان وأَخيافِ(8) الخَلْق في أصناف جواهِرِها واختلاف طبائِعِها وافتراقِ حالاتها وأجناسِ أبدانها في أَعيانها وأَلوانها. بَلْ لم يُمكنْ أنْ يميَّز بينهم وبين الأصنام المنصوبة والأوثان المنحوتة، وكان كلُّ قائمٍ وقاعد ومتحرِّك وساكن ومنصوبٍ وثابتٍ في شرعٍ(9) سواءً ومنزلةٍ واحدة وقِسمةٍ مُشاكلة إذْ كانوا في معنى الصّمت بالجُثَّةِ واحدًا، وفي معنى الكلام بالمنطق متباينا. ولذلك صارت الأشياء مختلفةً في المعاني، مؤتلفةَ الأشكال، إذْ كانت في أشكالِ خِلقتها متّفقة بتركيب جواهرها وتأْليف أجزائها وكمال أبدانها، وفي معنى الكمال متباينةً عند مفهوم نَغَماتها ومنظومِ ألفاظها وبَيانِ مَعالِمَها وَعدْل شواهدها.

مع أَنّي لم أُنكر فضيلة الصَّمت، ولم أُهجِّن ذِكرَه إلاّ أَنَّ فضله خاصٌّ دون عامّ، وفضلُ الكلام خاصٌّ وعام، وأنَّ الاثنين إذا اشتمل عليهما فَضْلٌ كان حظُّهما أكثرَ ونصيبُهما أوفرَ من الواحد. ولعلَّه أن يكون بكلمةٍ واحدةٍ نجاةُ خلقٍ وخلاصُ أمّة.

ومن أكثر ما يُذكرُ للسَّاكت من الفضل ويُوصَفُ له من المَنقَبة أن يقال يَسكُت ليتوقَّى به عن الإثم، وذلك فضلٌ خاصٌّ دون عامّ.

والذي ذُكِرَ من تفضيل الكلام ما يَنطِقُ به القُرآنُ، وجاءَت في الرِّوايات عن الثِّقات في الأَحادِيث المنقولات والأَقاصيص المرويَّات والسَّمَر والحِكايات وما تكلَّمت به الخطباءُ ونطقَتْ فيه البلغاءُ – أكثرُ من أن يُبلَغ آخرُها ويُدرك أوَّلُها، ولكنْ قد ذكرتُ من ذلك على قَدْرِ الكِفاية، ومن الله التوفيقُ والهداية.

ولم نَرَ الصَّمتَ – أسعدَك اللهُ – أحمَدَ في موضع إلاّ وكان الكلامُ فيه أحمدَ لِتَسارُعِ النَّاس إلى تفضيل الكلام، لظهورِ عِلَّتِهِ ووضوح جليَّته ومَغَبَّةِ نفْعِه.

وقد ذكر الله جلَّ وعزَّ في قصَّةِ إبراهيمَ عليه السّلامُ حين كسَّرَ الأصنام وجعَلَهَا جُذاذًا(10)، فقال حكايةً عنهم : " قالُوا أَ أَنْتَ فعَلْتَ هذا بآلِهَتِنَا يَا إبراهيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا فاسْأَلُوهُمْ إنْ كَانُوا يَنْطِقُون" * فكان كلامُه سببا لِنجاته وعلَّةً لخلاصِه.

* سورة الأنبياء الآية 62

الجاحظ. الرسائل. تحقيق عبد السلام هارون الجزء الرابع ص 231

الشرح

1) **باهِرَة** : بَهَرَهُ بَهْرًا : غَمَرَهُ وغلَبَه.
2) **مَنْقَبَة** : صيغة المصدر الميمي على وزن مَفْعَلَة متعلّقة بنَقُبَ على القوم : صار سيّدهم. المَنْقَبَةُ : الفعلُ الكَريمُ والمَفْخَرَةُ: ضدّه المَثْلَبَة.
3) **خِلَل** : مفردُها خَلَّة : الخَصْلَةُ والخَصْلَةُ : خُلُقٌ في الإنسان يكون فَضيلةً أو رذيلَة.
4) **مأرَبك** : ج مآربُ. المأْرَبُ : الحاجَةُ
5) **يَنْحُوها** : يَقصدها
6) **المَحْصُول** : الحَاصِلُ، خُلاصَةُ الشيء. النَّتِيجَةُ.
7) **التَّدْبير** : استعمال الرأي بِفِعْلٍ شاقٍّ. وقيل : التّدبيرُ النّظرُ في العواقب بِمعرفةِ الخَيْرِ (التعريفات للجرجاني ص54)
8) **أَخْيَافُ الخَلْق** : الأَخْيَافُ من الناس الضّروبُ المُختَلِفةُ الأخلاق والأشكال. يقالُ : النّاسُ أَخْيَاف أي لا يَسْتَوُونَ.
9) **الشَّرع** : الطريقُ والمنْهَج.
10) **جُذاذًا** : مُقَطَّعًا مُكَسَّرًا.

الفهم والتحليل

1– بُنيَ النصُّ على مراوحة بين عرض نتيجةِ استقراء الواقع من جهة ثم تفسيرها ودعمها من جهة ثانية. قطّع النصّ باعتماد هذه الخطّة.
2– حدّد طرفي الخطاب. بم تفسّر صمت الطرف المقابل ؟
3– في النصّ تفضيلٌ للكلام على الصمت. ضع في جدول خصائص كلٍّ منهما مبيّنا قيمتهما عند الإنسان.
4– ما الحججُ التي اعتمدت لبيان فضل الكلام على الصمت ؟ وما نوعها ؟
5– لِم أطنب الجاحظ في بيان أنّ الكلام يُميّز الإنسان عن الحيوانات والجمادات ؟
6– الكلام أداة للتعبير عن الحاجات، ما هي هذه الحاجات ؟ كيف رتّبها الجاحظ ؟ وهل هو ترتيب مقصود ؟
7– في النصّ إشارة إلى مبدإ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". أين تتَجَلّى ؟

النقاش

- ألّف الجاحظُ رسالة في "تفضيل النطق على الصمت" لكنّنا نجده في بعض نصوصه يفضّل الصمت. هل يدلّ هذا على تناقض أم هو مقصود عَمَلا بمقولته المتداولة "لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَال" ؟
- رغم أنّ الثقافة العربية تقوم على المشافهة، نجد مفكّرين (ابن المقفع – ابن حزم...) يدعون إلى الصمت. بِمَ تفسِّر هذه الظاهرة ؟
- هلْ تَرَى من مُوجباتِ اليومَ لتفضيل الكلام على الصّمت ؟ وهل الكلام كلُّهُ حريّة أم أيضا مسؤوليّة ؟ علّل جوابك.

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	أ– **إذا** : ظرف مفتقر إلى الإضافة، يكوّن مَعَ ما يَلِيه مركّبا إضافيّا واقعا مفعولا فيه متمّما للجملة الواقعة بَعْدَه والمعبّرة عن الإسناد الرّئيسيّ للجملة. ومعنى الجملة الشرطُ، أيْ إنّ "إذا" تقتضي أنه يلزم وقوع مضمون الإسناد الرئيسي في الجملة عند وقوع مضمون المضاف إليها في الجملة كقولك : "إذا طلعت الشمس طلع النّهار". ومعناه (لزوم طلوع النهار في زمان طلوع الشمس) ب– **إذْ** : حرف يفيد التفسير والتعليل "إذْ ترد للتعليل نحو (ولَنْ يَنْفَعَكُمْ اليومَ إذْ ظلَمتُمْ أنَّكُمْ في العذاب مشتركُونَ) أي : ولن ينفعكم اليوم اشتراككُم في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا، وإذْ هذه حرفٌ بمنزلة لام العلّة أو ظرفٌ. والتعليلُ مستفاد من قوّة الكلام لا من اللفظ". ابن هشام مغني اللبيب ج 1 ص ص 81–82 **نجد في النصّ إضافة إلى"إذْ" لامَ التعليل. "استخرج أمثلة منها وبيّن دورها كرابط منطقي في الحجاج.** ج– **منها** : الحرف "مِن" يفيد التبعيض. ومن أساليب الحجاج التعديدُ (ومنها ... ومنها...)
المعجم	السبب والعلّة. ابحث في المعجم عن معنى العبارتين وبيّن كيف استعملهما الجاحظ في النصّ.
البلاغة	يمتاز أسلوب النصّ بتوازن بين وحدات في الجمل مسجّعة مثل "في الأحاديث المنقولات /والأقاصيص المرويّات /والسّمر والحكايات.." استخرج أمثلة أخرى – ما تأثيرها في المتلقّي ؟
الكتابة	يقول الجاحظ في النصّ "إنّي وجدتُ فضيلة الكلام باهرةً ومنقبة المنطق ظاهرة في خِلال كثيرة وخصال معروفة". وقد دعّم أطروحته في ذلك بحجج. هل لك أن تضيف حججا أخرى ؟

تنويـــر

من آراء الجاحظ

1– الكلام يبيّن فضل صاحبه

يقول الجاحظ "ولولا الكلامُ لم يُعرف الفاضلُ من المفضول، في معانٍ كثيرة ، لقول الله عزَّ وجلَّ، في بيانِ يُوسف عليه السلامُ وكلامِه عند عَزيزِ مصر، لمَّا كلَّمه فقال : "إنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكينٌ أمينٌ". فلو لم يكن يوسُفُ عليه السلامُ أظهَرَ فضْلَه بالكلامِ والإفصاحِ بالبيان، مع مَحاسِنه المُونِقةِ وأخلاقه الطّاهرة وطبائِعه الشريفة، لَمَا عرف العزيزُ فضْله ولا بلغَ تلك المنزلةَ لَدَيْه".

رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون – رسالة تفضيل النطق على الصمت. المجلّد الرابع ص 234

2– اللسان ترجمان القلب

"ولا شيء أعجب من أنّ المنطق أحدُ مواهب الله العظام، ونِعَمِهِ الجسام، وأنّ صاحبها مسؤول عنها ومُحاسَب على ما خوِّل منها، أوجب اللّهُ عليه استعمالَها في ذكره وطاعته والقيام بقسطه وحجّته ووضْعها مواضع النَّفع في الدين والدنيا والإنفاق منها بالمعروف لفظةً لفظةً، وصرَفها عن أضدادها."

رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. كتاب كتمان السر وحفظ اللسان – المجلّد الأول ص **142**

واعلَمْ يقينًا أنّ الصّمت سرْمدًا أبدًا، أسهلُ مَرامًا – على ما فيه من المشقّة – من إطلاق اللسان بالقول على جهة التحصيل والتمييز والقصد للصّواب.

رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. كتاب كتمان السر وحفظ اللسان – المجلّد الأول ص 143

3– قيمة الكلام

"ولوْلا الكلامُ لم يُقمْ للّهِ دِينٌ ولم نَبِنْ مِن المُلْحِدين ولم يكنْ بين الباطل والحق فرقٌ ولا بين النبيّ والمتنبّي فصلٌ ولا بانت الحجةُ من الحيلة والدليلُ من الشبهة".

رسائل الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون. رسالة في نفي التشبيه المجلّد الأول ص 284

في الأثر

التلاؤم بالسجع والتوازن

من مظاهر الصَّنعة عند الجاحظ توافُر التلاؤم في أجزاء الفقرات وفواصِلها. فإن كانت الفواصل متماثلة فهو السجع وإن كانت متعادلةَ المقاطعِ فقط فهو التوازنُ والازدواجُ. والجاحظ لم يستهدف هذه المحسناتِ البيانية لذاتها، بل كان يستخدمها بقدر ما يوحي به الطبعُ ويدعو إليه المقامُ والمقالُ، وبذلك لم يلتزم السجع كمذهب من مذاهب التأليف والإنشاء ... أمَّا التوازي أو الازدواجُ فكان له حظٌ أوفر ... وقد أضفى الجاحظ بهذه الطريقة على نثره مسحة موسيقية، تحبّب إليه الاستماع وتجلب إلى النفس الاستمتاع والارتياح، وهكذا نجد في ألفاظه رنّةً وفي جمله نغمةً وفي عبارته إيقاعا يكاد يكون كاملا."

الأب فيكتور شلحت اليسوعي. النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ دار المعارف مصر 1964 ص ص 61–62

مبادئ المعتزلة الخمسة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يمتاز المعتزلة في هذا المبدأ وإنْ اشتركوا فيه مع غيرهم من المسلمين بأنَّه من واجب المؤمن أن يكون له في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موقفٌ إيجابي، يستعملون لذلك اللسان والسيفَ إنْ لزم السيفُ وقد كان إيمانهم بهذا المبدإ نتيجةً لمعتقداتهم السياسية كما أنّه يفسِّر الدور الذي قاموا به في الدولة العباسية.

كتاب التفكير الإسلامي تأليف جماعة من الأساتذة – الديوان التربوي – الشركة التونسية للتوزيع ص 101

المفاهيم

1– الاستقراء

أمّا الاستقراء (l'induction) كمصطلح منطقي عند المحدثين فتعريفه أنّه نوع من الاستدلال (الاستنتاج) وهذا نوعان : استدلال مباشر وغير مباشر.

أمّا الاستدلال غير المباشر فهو نوعان أساسيّان هما القياس والاستقراء .والقياس استنتاج قضية من قضيّتين لا أكثر ولا أقلّ. أمّا الاستقراء فهو استنتاج قضية من أكثر من مقدِّمتين **وليس في الاستقراء يقين وإنّما صدقه صدق احتمال. وكلّما زاد عددُ المقدمات زاد احتمالُ صدق نتيجته**".

الموسوعة الفلسفية العربية معهد الإنماء العربي ط1/1986 ص 259

2– السبب والعلّة

يقول أبو البقاء (كتاب الكلّيات) : السببُ والعلّة يطلقان على معنى واحدٍ عند الحكماء، كما ظهر هذا الترادفُ في شروح ابن رشد على أرسطو فهو يقول : إنّ السبب والعلّة اسمان مترادفان وهما يقالان على الأسبابِ الأربعة التي هي المادةُ والصورةُ والفاعلُ والغايةُ. ويمكن القول بوجه عامّ إنّ المعتزلة والفلاسفة (ما عدا الغزالي)

يعترفون بالعلاقاتِ الضروريّة بين الأسباب ومسبّباتها. أمّا الأشاعرة والغزالي والصوفيّةُ أيضا فلا نجد عندهم اعترافا بالضرورة بين الأسباب ومسبّباتها.

الموسوعة الفلسفية العربية معهد الإنماء العربي ط1/1986 ص ص 472–474

في الحجاج

1– البنيات والوقائع الخارجيّة في الحجاج

"هي بنيات مستمدّة من الواقع الماضي بما يخترنه من تجارب إنسانية وأحداثٍ تاريخية أو شخصية تترجمها الحِكَمُ والأمثال والحكاياتُ والكِنايات وغيُرها ... تكون معروفةً من قبل، وذات قيم مجتمعية تحظى باحترام واهتمامِ الأفراد والجماعات، تستخدم داخل القول الحجاجي للإقناع، بما تقدّمه من تصوّر وتجريد للأشياء والأحداث وما تتضمَّنه من مشابهة يستدعيها سياق القول الحجاجي".

عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير /مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج /افريقيا الشرق المغرب 2006 ص 294

2– الدّعم في الحجاج

1) حدّ الدّعم : الدّعم إثباتٌ لأطروحة المحاجّ ودفاعٌ عنها بإبراز مواطن القوّة فيها، والغايةُ استمالةُ المتقبّل إليها ودعوته إلى الاقتناع بوجاهتها.

2) يتطلّب الدّعم في العمليّة الحجاجيّة أن يعلن المحاجّ أنّه يتبنّى الأطروحة كليّا أو جزئيّا وأن يدافع عنها في خطّته الحجاجيّة.

3) منطلقات الحجاج : يستمدّ المحاجّ حججه ليدعم أطروحته من منطلقات عديدة منها :

– مجال **القيم**
– **مجال الحقيقة** : يرتبط بالحقّ والباطل أو الخطأ والصّواب وأصالتها وتفرّدها من ناحية ثانية.
– **مجال الجمال** : ويقوم على جميل وقبيح أو مُستحسَن ومُستهجَن.
– مجال **الأخلاق** : يتأسّس على قيم الخير والشر.
– مجال **المتعة** : ويقوم على اللّذة والألم ويتعلّق بالحواسّ وصراعها بين مبدأي اللذّة والواقع.
– مجال **الذرائعيّة** : ويقوم على ثنائيّة النّفع والضّرر ويتعلّق بالمعاملات الإنسانيّة من جهة الرّبح والخسارة.

وقد ينتقي حججه بالانطلاق من الواقع فيعتمد أحداثا أو إحصائيات .....

4) يستعمل لتقوية الحجج :

أ– مؤشّراتٍ لغويّةً وصيغا تفيد الدّعم منها : التوكيد بـ (إنّ، ممّا لاريب فيه، لاشكّ في ....)

ب– أساليبَ خطابيّة تؤثّر في المخاطب وتستميله منها : (التشبيه، الوصف السرديّ، المجاز، الاستفهام، التعجّب ....)

كتاب التدريب على الإنشاء الحجاج – تأليف مجموعة من المتفقدين والأساتذة – سيراس للنشر 2000 – ص ص 86–87

النّصّ عدد 10

الشكّ واليقيـــن

التمهيد
الجاحظ رجل العقل. والشكُّ المنهجي سِلاح هذا الرجل يجرّده ليقطع في كل مسألة أو خبر يتنافى مع العقل والمنطق. ولمّا كانت أخبار القدامى أحوج إلى التثبت عمد إلى الشكّ فيها بالنظر في السند والمتن حتى إذا حكّم العقلَ بالصحة والسلامة ظهرت الحقيقة وانتفت الشبهةُ وإذا الشك طريقٌ إلى العلم ومبدأ النظر عند العاقل.

ولو كانتْ الدَّسَّاسُ(1) من أصنافِ الحيّات لم نخُصَّها مِنْ بينها بالذِّكر ولكنَّها وإنْ كانت على قالَبِ الحيّاتِ وخَرْطِها(2) وأُفرِغتْ كإفراغها وعلى عَمُودِ صُوَرِها فَخصائصُها دون خصائصها (...) لأنّ الدّسَّاس مَمْسُوحةُ(3) الُأذن وهي مع ذلك ممَّا يلد ولا يبيضُ. والمعروفُ في ذلك أنّ الولادةَ هي في الأشْرَف والبيضَ في الممسوح (...)

وزعم لي ابنُ أبي العجُوز* أنّ الدّسّاسَ تلد. وكذلك خبَّرني به محمدُ بن أيوبَ بن جعفرٍ* عن أبيه، وخبَّرني به الفضل بنُ إسْحاقَ بن سليمانَ*. فإنْ كان خبرُهما عن إسحاقَ فقد كان إسحاقُ من مَعادنِ العلم(4).

وقد زعموا بهذا الإسناد أنَّ الأُرْوِيَّة(5) تَضَعُ مع كلّ ولدٍ وضَعتْه أَفعى في مَشيمَةٍ واحدة.

وقال الآخرون : الأرويّة لا تُعرف بهذا المعنى ولكنّه ليس في الأرض نَمرةٌ إلاّ وهي تضعُ ولدَها وفي عُنقه أفعى في مكان الطَّوْق وذكروا أنّها تَنْهَش(6) وتعضُّ ولا تقتلُ.

ولم أكتبْ هذا لتُقِرَّ بهِ ولكنّها روايةٌ أحببت أن تَسمعها ولا يُعْجبني الإقرارُ بهذا الخبرِ وكذلك لا يُعجبني الإنكارُ له. ولكنْ لِيكُنْ قَلْبُك إلى إنكاره أميلَ.

وبعدَ هذا فاعرفْ مَوَاضعِ الشّكّ(7) وحالاتِها الموجبةَ له لتعرف بها مواضعِ اليقين(8) والحالاتِ الموجبةَ له، وتعلَّم الشّكّ في المشكوك فيه تعلُّما. فلو لم يكنْ في ذلك إلاّ تعرّفُ التوقُّف(9) ثمّ التثبُّت(10) لقد كان ذلك ممّا يُحتاج إليه.

ثمّ اعلم أنّ الشكّ في طبقات عند جميعهم ولم يُجْمعوا على أنّ اليقينَ طبقاتٌ في القوَّة والضّعف ولما قال أبو الجهم* للمكّيِّ* : أنا لا أكادُ أشكُّ !قال المكّيُّ : وأنا لا أكادُ أُوقِنُ ! ففخر عليه المكيُّ بالشّكّ في مواضِع الشّك كما فخر عليه ابنُ الجهم باليَقين في مَواضِع اليقين.

وقال أبو إسحاقَ* : نازعت من الملْحِدين(11) الشاكَّ والجاحدَ(12) فوجدتُ الشُّكّاك أبصرَ بجوهر الكلام مِن أصحاب الجحود.

وقال أبو اسحاقَ : الشاكُّ أقربُ إليكَ من الجاحِد ولم يكنْ يقينٌ قطّ حتَّى كان قبلَه شَكٌّ، ولم ينتقل أحدٌ عن اعتقادٍ إلى اعتقادٍ غيره حتى يكونَ بينهما حالُ شكٍّ.

وقال ابنُ الجهم : ما أَطْمَعَني في أَوْبةِ(13) المُتحيِّر(14) لأن كلَّ منْ اقتطعتْه عن اليقين الحيرةُ فضَالتُه التبيُّنُ ومَنْ وَجَدَ ضالتَه فرِح بها.

الجاحظ. كتابُ الحيوان تحقيق وشرح عبدالسلام هارون
الطبعة الثالثة 1969 دار إحياء التراث العربي لبنان ج 6 ص ص 32–36

التعريف بالأعلام

* ابن أبي العجوز : مُرَوّضُ حيّات (حَوّاء) اعتمده الجاحظ في رواية أخبار طبائع الحيوان.
* محمد بن أيّوب بن جعفر : أيّوب بن جعفر بن سليمان العبّاسي من خطباء الهاشميين ومن المعروفين برواية الأخبار. أمّا والدُه محمّد فلا تُعرف أخباره.
* إسحاق بن سليمان : يعدُّ من ذوي الأقدار العالية. منْ وُلاة الدولة العباسيّة وَلِيَ لهارون الرشيد المدينة والبصرةَ ومصرَ ... ووليَ لمحمد الأمين حِمصَ وأرْمينية. مات ببغداد.
* أبو الجهْم : من رجال السياسة في الدولة العبّاسية .
* المكّـيّ : من أصدقاء الجاحظ المتكلّمين كانت له معه مُداعبات قال عنه الجاحظ : "كان المكيُّ طيّبا، طيّب الحجج، ظريف الحيل." الحيوان ج 3 ص 325
* أبو إسحاق : هو إبراهيم النظّام، من أئمة المعتزلة في عصر الجاحظ نشأ بالبصرة ومات ببغداد سنة 231 هـ
* محمد بن الجهم : برْمكيّ ولاّه المأمون عدّة ولايات. توفي في خلافة المعتصم يعدّ متفلسفا وقد هاجمَه ابنُ قُتَيْبةَ قائلا عنه : "إنّه اسْتبْدل بالمصحفِ كُتبَ أرسطو في الكوْن والفساد والمنطِق وعَمِل بما فيها من قياسٍ ونحوِه."

الشرح

1) **الدّسَّاسُ** : نوع من الحيّاتِ أحمرُ كأنّه الدّم، مُحدّدُ الطرفيْن، لا يُدْرى أيّهما رأسُه، غليظُ الجلدة ... وليس بالضّخْم الغليظ ... وهو أخبثُ الحيّات، ينْدَسُّ في التراب فلا يظهر للشمس.
2) **خَرْطها** : خَرَطَ يَخْرُطُ خَرْطًا الحديدَ : طوَّلَهُ كالعمودِ. الخَرْطُ : القالبُ : ما تُفْرَغُ فيه الجواهر وغيرها ليكون مثالا لما يصاغ منه.
3) **مَمْسوحَة** : صفة مشبّهة متعلّقة بِمَسْح أي نقص. المَسَحُ : نَقْصٌ وقِصَرٌ. المَمْسُوحُ : غيرُ الظاهِرِ الأُذُنيْنِ ويقابلهُ الأشرفُ وهو الظاهِرُ الأذنين.
4) **مَعَادن العِلم** : مصادره.
5) **الأرْويّة** : والأرْويةُ على وزن أُفْعُولَة من (روي) الأنثى من الوُعُول : ضأْن الجبل ج. أرَاوِ (أفاعِيل) Mouflon
6) **تَنْهَش** : نَهَشَهُ : تناوله بفمِه ليَعَضَّهُ فيؤثّر فيه ولا يجرحه.
7) **الشكُّ** : ج. شكُوك. هو التردّد بين النقيضيْن بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك، وقيل : هو الوقوف بين الشيئيْن لا يميل القلبُ إلى أحدهما. فإذا ترجّح أحَدُهما ولم يُطرَحْ الآخرُ فهو ظنٌّ فإذا طرحه فهو غالبُ الظنّ وهو بمنزلة اليقين (التعريفات للجرجاني ص 128)
8) **اليقينُ** : في اللغة هو العلمُ الذي لا شكّ معهُ وفي الاصطلاح : اعتقادُ الشيء بأنّه كَذا، وقيل هو طمأنينةُ القلب على حقيقة الشيء، وقيل اليقين نقيض الشك، وقيل اليقين العلمُ الحاصِل بعد الشّك. (التعريفات للجرجاني ص 259)
9) **التوقُّفُ** : وقف الرجلُ على الأمر : فهِمَهُ وتبيَّنَهُ واطَّلَعَ عليه. توقف على الأمر تلبَّث عليه.
10) **التثبُّتُ** : تثبَّتَ في الأمر والرأي واسْتثْبتَ : تأنّى فيه ولم يعْجل. واسْتثْبت في أمره : فحصَ عنْهُ
11) **المُلْحِدُ** : صفة مشبّهة متعلّقة بلَحَدَ في الدّين وألْحَدَ : مالَ وعدَلَ وجادَلَ. الملحِدُ : العادلُ عن الحقّ المُدْخل فيه ما ليس فيه. الإلحادُ : الشكّ في اللّه.
12) **الجاحِد** : اسم فاعل متعلّق بجحدَ. الجاحدُ : المنكِرُ مع العلم.
13) **أوْبَـة** : مَصْدر متعلق بآبَ يؤُوبُ أوْبًا وإيابا وأوْبَةً : رجعَ
14) **المُتحيِّرُ** : تَحيَّرَ واسْتحارَ وحارَ : لم يَهْتَدِ لسبيله. تحيَّرَ : تردَّدَ. تحيَّرَ الرجلُ : ضلّ فلم يهتدِ لسبيله. تحيَّرَ في أمْرِه

الفهم والتحليل

1– قام النصّ على تقديم طائفة من الأخبار تخصّ الدّساس وعلى أقوال لبعض المتكلمين في الشكّ. حدّد هذين المقطعيْن.

2– لماذا ذكر الجاحظ السَّندَ في هذه الأخبار ثم أهمله عند تحليلها ؟

3– هل ترى في بناء النصّ بهذا الشكل واحتفاظِ الجاحظ برأيه غايةً تعليمية تتمثّل في وضع المتعلّم في "وضعية مُشْكِل." ؟ وضّح جوابك.

4– استخرج كلّ الجمل الفعلية منها والاسميةِ التي تحوي لفظ "الشك". ماهي خصائصُها ؟ مَادورُها في إثبات قيمة الشكِّ ؟

5– اشرح قول الجاحظ : "وتعلّم الشكّ فيه تعلّما".

6– يُعتبر النّصّ في مضمونه عِلميا. ادعم ذلك بشواهد أسلوبية وبالمعجم المستعمل.

7– لِمَ تحوَّل الجاحظُ بمنهجه في المعرفة من العلم الطبيعي إلى مجال الدّين والاعتقاد ؟

8– استخلص من النّصّ عناصر منهج الجاحظ في بناء المعرفة اليقينيّة.

9– تبدو في النصّ ملامحُ التفكير الاعتزالي. وضِّحها وبيّن صلتها بالعلم.

النقاش

- ما علاقةُ الشكّ بالبحث العلمي ؟
- هل كلّ شكّ يمكن أن يكون طريقا إلى اليقين ؟ ادعم إجابتك من النصّ ومِمّاَ درست في الفلسفة عن أنواع الشكِّ.
- هل مِنْ تعارض بين الشكّ وبين اليقين الحَدْسي ؟ علّل جوابك.

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	**لكنّ** : " تفيد الاستدراك. وفُسِّر الاستدراكُ بأن تَنْسب لما بعدها حُكْمًا مخالفا لحكْمِ مَا قَبْلَهَا، ولذلك لا بدّ أن يتقدّمها كلامٌ مناقِضٌ لما بعدها." **ابن هشام**. مغني اللبيب الجزء الأول ص 290 ب– **كاد** : من أفعال المقاربة ويدل على قرب وقوع الحدث. ومن أشهر أفعال المقاربة كذلك "أوشك". "قد جرى في العرفِ أن يُقال مَا كَادَ يَفْعَلُ ولمْ يكدْ يفعلُ في" فَعَلَ قد فعل على معنى* أنّه لم يفعلْ إلا بعد جهد وبعد أن كان بعيدا في الظنّ أن يفعله." **الجرجاني**. دلائل الإعجاز ط محمود شاكر ص 275 * وأنَّ "لا أكادُ أشكُّ" تدلّ على فِعْلِ الشكِّ بعد جهد وتَريُّثٍ وأنَّ "لا أكَادُ أُوقِنُ "تدلُّ على فعل اليقين بعد جهد وتريّثٍ فيكون قائلُ "لا أكاد أشكّ" قد شكّ ففخر بالشكِّ في موضعه وقائل "لا أكاد أوقِنُ" قد وصل إلى اليقين بعد تردّد ففخر باليقين في موضعه. ج– **مَا أَطْمَعَنِي** : إنشاءٌ يعبّر عن انفعالٍ قائم على الإعجاب سلبا أو إيجابا.
الحقل المعجمي	استخرج من النصّ الحقلَ المتّصل بالعقل حتى تؤكد دوره في الشك وفي اليقين.

تنويـــر

من آراء الجاحظ

1– في هذا الحديث عجب

يقول الجاحظ عن انتصاب الحيّة "وفي هذا الحديث من العَجَبِ أن تكون هذه الحيّةُ تهتدي لمثل هذه الحيلة. وفيه جهلُ الطائر بفرقٍ ما بين الحيوان والعُودِ. وفيه قلّةُ اكتراثِ الحيّة بالرمل الذي عاد كالجَمْر، وصلُح أن يكون مِلّة وموضِعا للخبزة ثم أنْ يشتمل ذلك الرّملُ على ثلثِ الحيّة ساعاتٍ من النهـار، والرّملُ على هذه الصفة. فهذه أعجوبة من أعاجيب ما في الحيّات."

كتاب الحيوان. الجزء الرابع ص 107 – 108

2– الرواية والإيمان بها

يقول الجاحظ "ولم أعِبْ الروايةَ وإنّما عِبْتُ الإيمانَ بها والتوكيدَ لمعانيها . فما أكثرَ مَنْ يروي هذا الضربَ على التعجّبِ منهُ وعلى أن يجعلَ الرواية له سببا لتعريفِ الناس حقَّ ذلك من باطِلِه"

كتاب الحيوان. الجزء الأوّل ص 186

3–فصل ما بين العوام والخواص في الشكّ

"والعوامُّ أقلُّ شكوكا من الخواص، لأنّهم لا يتوقّفون في التصديق والتكذيب ولا يَرْتابون بأنفسهم، فليس عندهم إلاّ الإقدامُ على التّصديق المجرّد أو على التكذيب المجرّد وأَلْغَوْا الحالَ الثالثة من حال الشكّ التي تشتمل على طبقات الشكِّ، وذلك على قدر سُوء الظنّ وحُسن الظنّ بأسباب ذلك، وعلى مقادير الأغلب. "

الجاحظ. كتاب الحيوان الجزء السادس ص ص 36 – 37

في الأثر

1– كل قول يكذبه العيان فهو أفحش خطأ.

وقد شكّ الجاحظُ في كل خبرٍ تناقضَ واستحالَ، وفيما امتنع على الطبيعة وخرج من طاقة الخلقة، وقرّر أنه إذا خرج الخبر من هذين البابين وجرى عليه حُكْم الجواز فالتدبير في ذلك التثبّتُ، وأن يكون الحقُّ في ذلك ضالّتك، والصدق هو بغيتك، كائنا ما كان، وقع منك بالموافقة أم وقع منك بالمكروه. وكذلك شكّ في كثيرٍ ممّا ليس يمتنع في القدرة أو الطبيعة وقال : كل قول يُكَذّبه العيانُ فهو أفْحَشُ خطأ. والجاحظ لا يميل إلى كثير الظنّ والحدْس، بل يميل إلى أن يكون ظنُّه أقربَ إلى الحقيقة بل هو الحقيقة.

محمد عبد المنعم خفاجي. "أبو عثمان الجاحظ" دار الكتاب اللبناني بيروت ط 1 / 1973 ص 172– 173

2– التحقُّق من الواقع بواسطة الشكّ

"لقد قلنا في معرض الكلام عن أصول الجاحظ في تفكيره إنَّ الشّكَّ شرط من شروط اكتساب المعرفة اليقينية، يقول : "واعرف مواضع الشكّ وحالاتِها الموجبة، لتعرف بها مواضعَ اليقين والحالات الموجبة له". ومن مظاهر هذا الشكّ في أسلوبه التوقّفُ والتريّثُ إزاء ما يردُ إليه من الأخبار وما ينتهي إليه تفكيرهُ من الحقائق والمعاني.

وتتجلّى لنا أيضا ظاهرةُ الشكّ في تفكيره من وقوفه موقف الحذَرِ الشديد مما يُنقل إليه من الأخبار، وما تفيده الحواسُ ويفيده الاستدلالُ من المعارف. ويتّضحُ ذلك في استخدامه كلماتِ الظنّ والترجيح والشكّ من مثل "لعَلَّ " و"رُبَّما ". غير أنّ هذا الشكَّ الدافعَ إلى التمهّلِ والتريّثِ والحذَر، ليس أسلوبا سلبيّا عقيما، غايته المغالطة والمعاندة فحسب إنّما هو مرحلة انتقالية ضرورية تفتح الباب لمراحل أخرى كالتنقيب والنقد والتهكّم ... وهكذا يمكننا أنّ نقول إنّ الشكّ يفسح المجال أمام التنقيب والنقد بل التنقيب والنقد ينمّان عن الشكّ. فكما أنّ من مظاهر الشكِّ التوقّفُ، كذلك من مظاهر الشكّ وممّا يدلّ على أنّ الجاحظ يشكّ أنه ينقّب ويستقصي ويجرّب ليتأكّد وينقد ليرفض أو ليقبل بنـاء علـى سابق تحقيق."

الأب فيكتور شلحت اليسوعي. "النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ" دار المعارف مصر 1964 ص ص 156–157

3– التحقق من الواقع بواسطة التنقيب

"أما التنقيبُ الذي يترتّب على الشكّ فقد أمَدَّ الجاحظَ بمعانٍ غزيرة متنوّعة وهو يقوم على البحث والاستقصاءِ فيه والتحرّي والتّجربة وتتبّع الموضوع وتقليبه على جميع وجوهه، وذلك سواء في الميدان الحسيّ والميدان الذهني والميدان النفسيّ سعيا وراء فهمِ الواقع فهما حقيقيّا شاملا. ونكتفي هنا بالقول إنّ الشكّ قد زاد هذه النزعة قوة واندفاعًا وأعطاها هدفا ومبرّرا. وبذلك نعلم أنّ تطلّعه لم يكن مجرد تطلّع فضولي وإنّما كان مظهرا من مظاهر البحث عن الحقيقة الثابتة."

الأب فيكتور شلحت اليسوعي. "النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ" دار المعارف مصر 1964 ص ص 157–158

المفاهيم

1– أنواع الشكّ

"يمكن إقامة تمييز حاسم بين نوعين من الشكّ : شكٌّ مطلق وشكٌّ منهجي، أو بين الشكّ كمذهب مقيم والشكّ كمنهج وأداة للوصول إلى اليقين. أمّا الشكُّ كمنهج وموقف مؤقت فيدعو أصحابهُ إلى أنّ المعرفة الموضوعية ممكنةٌ وأنّ المعرفةَ بالمعنى الدقيق هي اليقينية الثابتة التي لا تختلف من شخص إلى آخر وأنّ في العقل قدرةً على الوصول إلى اليقين. لكنّهم وجدوا أنّ السبيل إلى هذا اليقين هو بَذْرُ الشكّ في كلّ ما اكتسبناه في الماضي واصطناعُ الحذر والحرص في قبول ما اتّفقَ عليه الفلاسفةُ السابقون ومحاولةُ تدريب العقل على تكوين ملكة النقد والتحليل ومناقشة ما سمّاه السابقون مبادئ أولية، حتّى نصل إلى مبادئ أولية وقضايا نراها واضحةً متميزةً، نُقيم عليها من جديد قضايا يقينية أخرى. ومِنْ دُعاة هذا الموقف القديس أوغسطين St.Augustin في القرن الخامِس الميلادي والإمامُ أبو حامد الغزالي في القرن الثاني عشَر الميلادي وديكارت في القرن السابعَ عشرَ الميلادي. رأى الأول والثاني أنّ الحقيقة الموضوعية المطلقة هي الحقيقةُ الصوفية ولا نلتمسها لا في شهادة الحواس ولا في البرهان المنطقي وإنّما في الحَدْس الإشراقي الذي يستمدّ وجودَه من وجود الله. ورأى ديكارت أنّ الأفكار الفِطْرية بين كلّ الناس هي قاعدة القضايا الحدسية اليقينية، وفي مطلعها إثباتٌ وجوديٌّ، ومن وجود النفسِ يمكنني البرهان على وجود الله والعالم."

الموسوعة الفلسفية العربية. ط 1986 دار الإنماء العربي ص 524

2– الشّكّ المنهجيّ لدى ديكارت

"... إنّنا سنشكّ أولا فيما إذا كان من الأشياء المحسوسة أو المتَخيّلة ما هو موجود حقيقةً في العالم، إذْ نعلم بالتجربة أنّ حواسَّنا خَدَعَتْنَا في ملابساتٍ عديدة وأنّه من عدمِ الحكمة أنْ نثق فيمن خَدَعَنا مرةً، وكذلك لأنّنا نكاد نحلم دائما أثناء النوم ونتخيّل في وضوحٍ عددا لا يُحصى من الأشياء التي لا توجد خارجَ أحلامنا، ولأننا أخيرا لَمّا كنّا قد عزمنا على الشكّ في كلّ شيء، لم تبق لدينا علامةٌ مَا تدلُّنا على أنّ أفكار الحلم أكثر كذبا من غيرها...

ويلزمنا أنْ نشكّ أيضا في سائر الأشياء التي كانت تبدو لنا فيما مضى يقينيةً جِدّ اليقين، حتّى في براهين الرياضيات ومبادئها بالرغم من أنّها بيّنة بيانا كافيا وذلك لأنّ هناك من الناس من أخطأ فيها ...

وعندما نرفض على هذا النحو كلَّ ما يمكن أن يناله أقلّ شكّ بل نعتبره كاذبا فإنّه من السّهل علينا أن نفترض أنّه ليس هناك إلهٌ وسماء ولا أرضٌ وإنّنا بدون جسم، ولكنّنا لا نستطيع أن نفترض أنّنا غيرُ موجودين عندما نشكّ في صحّة هذه الأشياء كلِّها، إذ من غير المستطاع لنا أن نفترض أنّ منْ يفكّر غيرَ موجود بينما هو يفكر، بحيث أنّنا مَهْمَا نبالغ في افتراضاتنا لا نستطيع تجنُّب الحكْم بصدق النتيجة الآتية : أفكر إذَنْ أنَا موْجودٌ. وبالتالي فهي أولى وأيقن القضايا التي تمثّل لإنسان يقود فِكْره بنظام."

ديكارت. مبادئ الفلسفة (فقرات 1، 2، 4، 5، 7) ترجمة الدكتور نجيب بلدي

النّصّ عدد 11

المعاينة والتجربة

التمهيد
دراسةُ طبائعِ الحيوان وأساليب عيشه وطرقِ تكاثره وغذائه وأصنافِه وجوانبَ من سلوكه وخصائصه تقوم عند الجاحظ على رواية أخبار أهل الاختصاص بعد النّظر فيها والتحقّق من صدقها لكنّها تقوم خاصة على الملاحظة (العِيان) وعلى التجربة وهما من مميزات منهج البحث في العلوم الطبيعية.
يقول الجاحظ :" وليس يُشفيني إلاّ المعاينةُ" ويقول : "كلُّ قول يكذِّبه العيانُ فهو أفْحشُ خَطَإٍ وأسْخفُ مَذْهَبٍ."

وأخبرني رجلٌ مِن ثَقيفٍ قال : وفي الذِّبان طَبْعٌ(1) كطبع الجِعْلان(2)، فهو طبـــعٌ غريبٌ عجيبٌ. ولولا أنّ العِيـان(3) قهرَ أهلهُ لَكانوا خُلَقاء(4) أن يَدْفعوا(5) الخبرَ عنهُ. فإنّ الجُعَـــلَ إذا دُفِنَ في الوردِ(6) مات في العيْن، وفَنِيتْ حركاتُه كلُّها، وعاد جامدًا تارِزًا(7) ولم يفصِل النّاظِرُ إليه بينه وبين الجُعَلِ الميّت ما أقام على تأمّله. فإذا أُعيد إلى الرّوْثِ عادت إليه حركةُ الحياة من ساعتِه.
وجرّبتُ أَنَا مثلَ ذلك في الخُنْفُسَاءِ، فوجدتُ الأمر فيها قريبًا من صفة الجُعَل ولم يبْلغْ كلَّ ذلك إلا لقرابةِ ما بين الخنفساء والجُعَل.
ودخلتُ يوما على ابنِ أَبي كَريمة، وإذا هو قد أخْرجَ إجّانةً كان فيها ماءٌ من غُسالةِ أَوْساخِ الثياب، وإذا ذبَّانٌ كثيرةٌ قد تساقطْنَ فيه من الليل فَموَّتْنَ(8). هكذا كُنَّ في رأي العين. فغبرْنَ(9) كذلك عَشيّتَهُنَّ وليلهنّ، والغدَ إلى انتصاف النهار، حتّى انتفخْن وعَفِنَّ واسترْخَيْنَ، وإذا ابنُ أبي كريمةَ قد أعدَّ آجُرّةً جديدةً وفُتاتَ آجُرّ جديد، وإذا هو يأخذ الخَمْسَ منهنّ والستَّ ثمّ يضعهنّ على ظهر الآجرّة الجديدة ويَذُرّ عليهنّ من دقاق ذلك الآجرِّ الجديدِ المدقوق بقدْر ما يغمُرها فلا تلبثُ أن يراها قد تحرّكتْ ثمّ مشتْ ثم طارت، إلا أنّه طيرانٌ ضعيفٌ.

الجاحظ. كتاب الحيوان. ط 3–1969. ج 3 ص ص 349–350

وقال محمّدٌ بنُ حَفْص، وهو أبو عبيد الله بن محمد ابن عائشة : عضَّ رجلاً من بَلْعَنْبر كلبٌ كَلِب(10) فأصابه داءُ الكَلَب، فبال عَلَقا في صُورة الكلاب.
وحدّثني أبو الصّهباء عن رجالٍ من بَنِي سَعْدٍ، منهمُ عبدُ الرحمان ابن شَبيب، قالوا : عَضَّ سنجيرَ الكلبُ(11) الكلِبُ فكان يعطَشُ ويطلُبُ الماء بأشدِّ الطلب، فإذا أتَوْهُ به صاح عند مُعَاينته : لاَ، لاَ أريدُ !
وهكذا يصيب صاحبَ تلك العضّة وذلك أنّه يعطش عنها أشدَّ العطش ويطلب الماءَ أشدَّ الطلب، فإذا أَتَوْه به هَرب منه أشدَّ الهرب.
وذكر مسْلَمَةُ بنُ محارب وعليٌّ بن محمّد عن رجاله أنَّ زيادًا كَتب دواءَ الكَلَب وعلّقه على باب المسجد الأعظم ليعرفه جميعُ الناس.
وأنا، حفِظك الله تعالى، رأيتُ كلباً مرّةً في الحيّ ونحن في الكتّاب، فعرَض له صبيٌّ يسمَّى مهديًّا من أولاد القصّابين، وهو قائم يمحو لوحَهُ فعضّ وجهَه فنَقَع(13) ثنيَّته دون موضعِ

الجفن من عينه اليسرى، فخرق اللحمَ الذي دون العظم إلى شطرِ خدِّه، فرمى به ملقيًا على وجهه وجانبِ شِدقه وترك مُقلته صحيحة، وخَرجَ منه من الدّم ما ظننتُ أنّه لا يعيش معه، وبقي الغلام مبهوتًا قائِما لا ينبِس، وأسكته الفزعُ وبقي طائِرَ القلْب ثمَّ خِيط ذلك الموضعُ ورأيته بعد ذلك بشهر وقد عاد إلى الكتّاب وليس في وجهه من الشَّتْر(14) إلا موضعُ الخيط الذي خيط، فلم ينْبحْ إلى أن برئَ ولا هرَّ ولا دعا بماءٍ حتّى إذا رآه صاح : رُدُّوه ! ولا بال جروًا ولا علَقا، ولا أصابه ممّا يقولون قليل ولا كثير. ولم أجدْ أحدًا مِنْ تلك المشايخِ يشكّ أنهم لم يَرَوْا كلبًا قطُّ أكْلَبَ ولا أفْسَدَ طبعا منه. فهذا الذي عاينتُ. وأمَّا الذي بلغني عن هؤلاءِ الثقاتِ فهو الذي قد كتبتُه لك.

الجاحظ. كتاب الحيوان الطبعة نفسها. الجزء الثاني/ص ص 12–14

التعريف بالأعلام والأماكن

* **ابن أبي كريمة** : هو أحمد بن زياد بن أبي كريمة : مِنْ معاصري الجاحظ. ذو أخبار طريفة.
* **محمّد بن حَفْص** : من رجال الحديث، توفيّ بالبصرة سنة 228 هـ يقول عنه الجاحظ : "كان كثير العلم والسَّمَاع متصرِّفا في الخبر والأَثَر ... كثير الفوائد".
* **مسلمة بن محارب** : هو مسلمة بن عبد الله بن محارب الفهري البصري، نحويّ ومقرِئٌ وراوية ثقة. يقول عنه الجاحظ "وَمَن أراد الأخبار فَلْيَأخُذْها من مثْل قَتَادةَ وأبي عمرو بن العلاء ... وأبي عبيدة ومسلمة بن محارب ومحمد بن حفص، فإنّ هؤلاءِ وأشباهَهم مأْمُونُون وأصحابُ توْقٍ وخَوْفٍ من الزوائد وصَوْن لما في أيديهم وإشفاقٍ على عدالتهم".
* **عليّ بن محمد** : هو أبو الحسن علي بن عبد الله المدائني : راوية ومؤرّخ، كثير التصانيف. وُلد بالبصرة سنة 135 هـ وَسكن المدائن ثمّ انتقل إلى بغداد وبها توفّي سنة 225 هـ.
* **المسجد الأعظم** : هو مسجد البصرة. ولمّا ولّى معاويةُ زيادًا على البصرة بنى زيادٌ المسجد بالجصّ وسقفه بالسَّاج وجعل له سواري.

الشرح

1) **الطّبْع** : الخَليقَةُ والسَّجيَّةُ التي جُبِلَ عليها الإنسانُ. ج طَبائِعُ.
2) **الجعْلان** : مفردها جُعَلٌ : دابّة سوداء من دوَابّ الأرض، ضَرْب من الخنافس من مُغَمَّدات الأجنحةمقدّس لدى قدماء المصريّين Scarabée.
3) **العِيَان** : مصدر متعلّق بعَايَنَهُ مُعَايَنَةً وعِيَانًا : نَظَرَهُ يقال رآه عِيَانًا : لم يشكّ في رؤيته إيّاهُ.
4) **خُلَقَاء** : جمع مفرده خلِيقٌ : يُقال فلان خليق لكذا : جَديرٌ به.
5) **يَدْفَعُوا** : دَفَعَ عنه الخَبَرَ : ردَّهُ بحُجَّةٍ وأبْطَلَهُ.
6) **الوَرْد** : الزعفران. والوردُ : نوْرُ الشَّجَر.
7) **تَارِزًا** : صفة متعلّقة بترَزَ تَرْزًا وتُرُوزًا : مات ويَبِسَ.
8) **مَوَّتَنْ** : موَّتَتْ الدوابُ : كثُر فيها الموتُ.
9) **غبَرْنَ** : غبَرَ : مكَثَ وبَقِيَ.
10) **كلِب** : صفة مشبّهة على وزن فَعِل، متعلّقة بكَلِبَ الكَلْبُ: ضَرِيَ وتعوَّد أكل الناس.
11) **الكَلَب** : جُنُونُ الكلابِ. مرض خبيث يُصيب الكلاب ويَسْري إلى حيوانات أخرى وإلى الإنسان (Rage).
12) **العلق** : الدَّمُ ماكانَ... وقيل هو الدَّمُ الجامدُ الغَليظ. وقيل : هو ما اشتدّتْ حرتُه. والقطعةُ منهُ. عَلَقَةٌ.
13) **نَقَع** : نَقَعَ الجيْبَ : شَقَّهُ.
14) **الشَّتْرُ** : شَتَرَهُ : جَرَحَه.

الفهم والتحليل

1– النصّ طائفة من الأخبار عن الذباب والجُعل والخُنْفُساء والكلب. ما الجامع بينها ؟
2– نقل الجاحظ تجارب عاشها. تبيّن الجوانب العلمية فيها وفي منهج تسجيلها ونقلها.
3– المعاينة والتجربة مصدران من مصادر المعرفة. بيّن قيمتهما في منهج الجاحظ العلمي.
4– بيّن كيف تتمّ معاينة طبائع الحيوان. هل تجد فيها من الخصائص ما يرقى بها إلى الدقة العلمية المطلوبة؟
5– لماذا أورد الجاحظ خبر زياد الذي علّق دواء داء الكَلِب على باب المسجد ؟ هل يعتبر هذا مظهرا للتقدّم في البحث العلمي ؟
6– كتب الجاحظ ما عَايَنَ وما بلغه عن الثقات دون إبداء رأيه. هل يعود هذا إلى ما يسمّى بالأمانة العلمية أم إلى حثّ القارئ على تحمل هذه المهمة ؟

النقاش

- إذا ما علمنا أنّ الملاحظة والتجربة أُولى مراحل المنهج الاستقرائي وهو منهج البحث في العلوم الطبيعية، هل يمكن اعتبارُ ما جاء في هذا النصّ وفي كتاب الحيوان عِلْمًا ؟
- طريقة البحث عند الجاحظ تتلخّص في "الشكّ طريق إلى اليقين". هل تجد لها أثرا في هذا النصّ؟ وضّحه.

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	أ– إذا : استعملت في النصّ استعمالين مختلفين. الاستعمال الأول تعرضنا إليه في نصّ "فضل الكلام على الصمت". ابحث عن الاستعمال الآخر وبيّن قيمته في وصف الملاحظة. ب– "**الفاء**" و"**ثمّ**" حرفا عَطْفٍ تكون الفاء للترتيب والتَّعقيب. فإذا قلتَ "جاء عليٌّ فسعيدٌ" فالمعنى أن عليّا جاء أوّلَ وأنَّ سعيدا جاء بعدهُ بلا مهلة بين مجيئهما. تكون ثمّ للترتيب والتراخي. إذا قلتَ "جاء عليّ ثمّ سعيد" فالمعنى أنّ "عليّا" جاء أوّل وسعيدا جاء بعدهُ وكان بين مجيئهما مهلة . الغلاييني جامع دروس العربية المكتبة العصرية بيروت 1995 ص245 **استخرج "الفاء " و"ثمّ" من النصّ وبيّنْ هل استعملهما الجاحظ وفق القاعدة. ما مدى قيمة ذلك في تسجيل المعاينة ؟**
الحقل المعجمي	هذه العبارات من معجم الملاحظة والتجربة : العيان / جرّبت / فوجدت / رأي العين / رأيت/ عاينت. تفهّمها وحاول أن توظّفها في النصّ.
الكتابة	يقول الجاحظ عن كتاب الحيوان "وهذا كتابٌ أَخَذَ من طَرَف الفلسفةِ وَجَمَعَ معرفة السماع وعلم التجربة" الحيوان ج 1 ص 17 اكتب نصّا تقارن فيه بين المعاينة والتجربة عند الجاحظ وما تعرف عنهما في العلم.

تنويـــر

من آراء الجاحظ

1– العقلُ عَقلان

يقول الجاحظ "والعقل المولودُ متناهِي الحدود وعقلُ التجاربِ لا يُوقف منه على حدٍّ".

رسائل الجاحظ رسالة حبّ الأوطان. ص 101

في الأثر

1– معونة الحسّ ومعونة العقل

وكان الجاحظ يعمد في التجربة إلى طرق مختلفة ويجمع إلى معونة الحسِّ معونةَ العقل، فيعتمد الحواسَ والعقلَ في دَركِ الأمور. فالعنصرُ الأول من **عناصر تحقيقه التجريبي هو المعاينة يضمّ إليها التجربة** والفرض والمقابلة والتصنيف.

وللجاحظ الملاحظات الدقيقة والتوجيهات اللطيفة حتّى في أَدَقِّ الأمور.

عبد المنعم خفاجي. "أبو عثمان الجاحظ" دار الكتاب اللبناني بيروت ط1/1973 ص 175

2– تلمُّس الواقع بواسطة التجربة

"إنَّ المعاني الحسية التي أَضْفَتْ على أسلوب الجاحظ هذه المسحة الحسيّة لم يستخرجْها من ملاحظته للواقع والاستعانةِ بحواسه ونقلِ ملاحظات غيره فَحَسْبُ، إنما كان يستخرجُها أيضا من التجربة. فقد كان يعلِّق على التجربة أهمية كبيرة. يقول في كتاب الحيوان :" وهذا كتاب .. أخذ من طَرَفِ الفلسفة وجَمَع بين معرفة السماع وعلم التجربة".

لم يكتف الجاحظ بالتجارب التي كان يقوم بها شخصيّا أو يأمر بها بل كان أيضا يفيد من تجارب غيره تَوَصُّلا إلى المعرفة الثابتة لأنّه كان يعلم أنَّ تجارب الإنسان الواحد متناهية ومعرفتَه عن طريقها محدودة :" ولو لجأنا إلى قدر قُوَّتنا .. ومُنتهَى تجاربنا لما تدركه حواسنا ... لقلّت المعرفة".

الأب فيكتور شلحت اليسوعي. "النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ" دار المعارف مصر 1964 ص ص141–142

3– **وسائل المعرفة العلمية ثلاث : الخبر القاهر والعيان الظاهر والعقل المستدلّ**

العيان الظاهر : هو المعاينة والتجربة. أمّا المعاينة فهي ملاحظةُ الحيوان في طرق عيشه وطباعه وخصائصه وعاداته وغرائزه مثل فعله في "الجُرَذُ والعَقْرَب" و"خصائص النملة" في قوّة شمّها وجرأتها على حمل الأثقال وفي "الذبّان وأكله للبعوض" وفي "تماوت الجعلان". فيقول في هذه المعاينة الأخيرة : ... إنّ الجعلَ، إذا دُفن في الورد مات في العَيْن، وفنِيت حركاتُه كلُّها، وعاد جامدا يابسا ولم يفصل الناظر إليه بينه وبين الجعل الميّت ..." وقد لخّص مذهبه في المعاينة بهذا الحكم : "وليس يشفيني إلا المعاينةُ". وأمّا التجربة فكثيرا ما يستعملها لتصحيح خبر واختبار رواية فكأنّها عنده بمنزلة الاختبارِ المعكوس، فيقول " كلّ قول يكذّبه العيان فهو أفحش خطإ، وأسخفُ مذهبٍ". وتصوير ذلك صنعُه بالحيّة والشيحَ، إذ قيل له إنّ الشّيحَ يقتل الأفاعي فأخذ حيّة وغمرها بالشِّيحَ، فلم يجد للقول أصلا.

ومن قبيل التجربة أيضا سؤاله المختصّين بنوع من الحيوان كالقصّابين والحوّائين وبحّاري شَطِّ العرب ومَلاّحِي دجلة والفرات. كما وقع في مناظرته مع الأطبّاء في شأن سُمّ الأفعى وترياقه.وهو أحيانا يطلب أن يُجْرُوا التجربة أمامه : "فأمرتُ الحاوي، فقبض على خرزة عنقها، قلت له : اقبضها من الخرزة التي تليها قبضا رفيقا. فما فتح بينها بقدر سَمّ الإبرة حتّى برَدت ميتة".

محمد اليعلاوي. "أشتات في اللغة والأدب والنقد" دار الغرب الإسلامي ط1 /1992 ص8

4– مذهب الجاحظ العلميّ

يقوم المذهب العلمي الحديث على أسس مُقَرّرة هي :

– الإقبال على البحث بروح علميّ نَزيهٍ محايد مستعدّ لقبول الحقّ واعتقاده.

– الشكُّ في الموضوع حتىّ تثبت صحته.

– التجربةُ التي تبدأ بالملاحظة ثمّ الاستقراء ثم الموازنةِ والترتيبِ ثم الاستنباط القائم على المقدمات للوصول إلى النتيجة.

– الشكُّ والحيادُ الفكري.

محمد عبد المنعم خفاجي. "أبوعثمان الجاحظ" دار الكتاب اللبناني بيروت ط1/1973 ص 169

المفاهيم

1– التجربة والخبرة

يحسن أن نميّز أولا بين خِبْرة Expérience وتَجربة Expérimentation وإنْ كان الخطأُ الشائع الخلط بينهما. فالخبرةُ هي أيُّ حالة يُكابِدها إنسانٌ كالإحساسِ بلذّة أو ألم أو الوعيِ بإدراك حسّي أو بحالة تَذكُّرٍ أو تَخيُّلِ منظر أو موقفٍ، أو معاناةِ انفعالٍ أو عاطفة أو ممارسة أيّ حالة نفسية أو عقلية أخرى. أمّا التجربةُ فيجب قصرُها على تلك الحالات والمواقفِ التي تتمّ داخل مَعْمَل أو مُخْتبرٍ مثلما يفعلُه العالمُ التجريبيُّ حين يقوم بملاحظة ما ينشأُ عن ظاهرة فيزيائية أو كيميائية أو سيكولوجية أو بيولوجية. ونعتبر كلَّ تجربة بهذا المعنى نوعا من الخبرة وإنْ لم تكن كلُّ خبرة تجربةً.

الموسوعة الفلسفية العربية. دار الإنماء العربي ط 1986 ص 232

2– الملاحظة والتجربة

الملاحظة توجيهُ الحواسّ والانتباه إلى ظاهرة معيّنة أو مجموعة من الظواهر رغبةً في الكشف عن صفاتها أو خواصّها توصُّلا إلى كسب معرفة جديدة عن تلك الظاهرة أو الظواهر. أما التجربةُ فهي ملاحظةُ ظاهرة ما ملاحظةً مقصودة تتضمّن تغيير الظروف الطبيعية التي تحدث فيها تلك الظاهرة في مستطاعنا الوصول إليها بمجرّد الملاحظة دون تعديل. والتجربةُ أكثر أهميّة من الملاحظة حيث تفيدنا الأولى في كشف القوانين التي لا تسمح بها مجردُ الملاحظة البحتة للظواهر. وعلى الرغم من هذا الاختلافِ بين الملاحظة والتجربة فالخطُّ الفاصل بينهما غيرُ موجود أو أن الاختلاف بينهما يقوم في الدرجة لا في النوع، لدرجةِ أنّه يمكننا القول إنّ الفرق بين الملاحظة والتجربة فرقٌ بين الملاحظة المنفعلة والملاحظة الفعّالة.

في الأولى لا نقوم بجهد من جانبنا وإنّما نقوم بتسجيل ما نراه، أمّا في التجربة فنحن نبذل جهدا في إعداد الظاهرة موضوع البحث وكأنّنا نسأل الطبيعة وننتظر الإجابة.

الموسوعة الفلسفية العربية. دار الإنماء العربي ط 1986 ص 232

3- شروط التجربة

وللتجربةِ شروط عامّة تَجبُ مراعاتها حتى تكون موضعَ ثقتنا، أهمُّها الدقّة والموضوعيّةُ والمقصود بالدقّة العناية التّامة بتسجيل الظاهرة كأنْ تكون خواصُّ الباحث سليمةً وأنْ تتوفر الآلاتُ اللازمة لتسجيل ما يصعب على الحواس الظاهرة تَسجيلُه. أمَّا الموضوعية فمقصود بها إبعاد العوامل الذاتية والآراء الشخصية في البحث – لا نسجّل ما نرغب في تسجيله وإنما نسجل ما ندركُه، أحببنا أم كرهنا. نلاحظ أخيرا أن الملاحظة والتجربة أُولى مراحل المنهج الاستقرائي وهو منهج البحث في العلوم الطبيعية.

الموسوعة الفلسفية العربية. دار الإنماء العربي ط 1986 ص 232

في الحجـاج

التَّمثيل (المماثلة) Analogie

هو طريقة حجاجية تعلو قيمتُها على مفهوم المشابهة المستهلك حيث لا يرتبط التمثيلُ بعلاقة المشابهة دائما، وإنّما يرتبطُ بتشابه العلاقةِ بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبدا، ومِنْ ثمّةَ اُعتبرَ عامِلا أساسيا في عمليّة الإبداع، يُستعملُ في الحِجاج (فهو قريب من الحجاج المقارني) دون أن تكون له علاقةٌ بالمنطق الصُّوريّ، حيث لا يطرح معادلةً صورية خالصة ولكنّه ينطلق من التجربة بهدف إفهام فكرةٍ أو العملِ على أن تكون الفكرةُ مقبولةً وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير، جَرْيًا على مبدإ الاستعارة".

عبد السلام عشير.

"عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج"

إفريقيا الشرق المغرب 2006

"وجرّبت أنا مثل ذلك"
و"هذا الذي عاينت"

صورة تمثل دراسة تشريحية للحصان من كتاب العلوم في الاسلام.

دار الجنوب للنشر تونس 1978

النّصّ عدد 12

ممّا زعموا في الخَلق المركّب

التمهيد

اتّخذ الجاحظُ العقل إماما وعمادا في البحث العلمي لذا لم يَقبل الأخبارَ الغريبة خاصة المتعلقة بالنتاج المركّب من جنسين من الحيوان كالزَّعم في الزَّرافة وفي الشَبّوط. وكان يسعى إلى رفضها بالتفسير والتوضيح والبرهان.

وقالوا في الخلْق المركَّب(1) ضُروبًا من الحقِّ والباطل ومن الصِّدق(2) والكذبِ. فمِنَ الباطِل زعمُهم أنّ الشَّبُّوطَ(3) ولَدُ الزَّجْر(4) من البُنّيّ(5) وأنّ الشَّبُّوط لا يُخْلَق من الشَّبُّوط وأنّه كالبغلِ في تركيبِه وإنسالِه. ورووْا ذلك عن أبي واثِلةَ إياسِ بنِ مُعاويةَ بن قُرَّةَ.

وزعموا أنّ أمَّ جعفرٍ بنتَ جعفرِ بن المنصور، حَصَرت في حوضٍ لها ضخمٍ أو بِرْكةٍ كبيرةٍ عددا كثيرًا من الزّجْرِ والبُنّيّ وأنّها لم تخلِطْ بهما غيرَهما، فمات أكثرُه وبقيتْ بقيةٌ كانت الصَّميم(6) في القوَّة وفي احتمال تغيُّر المكان فلم تحمل البيضَ حيناً، ثمّ إنّها حملت بالشّبابيطِ.

وزعم حُريثٌ أنّه كان بأيذَج، فإذا سحابةٌ دهماءُ طخياءُ(7) تكاد تمسُّ الأرض، وتكادُ تمسُّ قِممَ رؤُوسهم، وأنّهم سمعوا فيها كأصواتِ المجانيق(8)، وكهدير الفحول في الأشْوَال(9)، ثمّ إنّها دَفَعَت بأشدِّ مطر رُئي أو سُمِع به، حتّى استسلَموا للغرق ثمّ اندفعتْ بالضفادع العظام ثمّ اندفعت بالشبابيط السِّمان الخِدال(10) فطبخوا واشتَوَوْا وملّحوا وادّخَروا.

ورَوَوْا عن أبي واثلة أنّه زعمَ أنّ من الدليلِ على أنّ الشَّبُّوط كالبغل أنّ الناسَ لم يجدوا في طولِ ما أكلوا الشبابيطَ في جوفِها بيْضاً قطُّ. فإن كان هذا الخبرُ عن هذا الرجُلِ المذكُورِ بشدّةِ العقل، المنعوتِ بثُقُوب الفِراسة ودقّةِ الفطنة، صحيحا، فما أعظمَ المصيبةَ علينا فيه وما أخلَقَ(11) الخبرَ أن يكون صحيحًا، وذلك أنّي سمعتُ له كلاماً كثيرا من تصنيف الحيوانِ وأقسامِ الأجناس يدلُّ على أنّ الرجلَ حين أحسَنَ في أشياءَ وهَّمه(12) العُجْبُ بنفسه أنّه لا يروم شيئا فيمتنعُ عليه، وغرّه من نفسه الذي غرَّ الخليلَ بن أحمد، حين أحسنَ في النحو والعَرُوض، فظنّ أنّه يُحسِن الكلامَ وتأليف اللّحون، فكتبَ فيها كتابينِ لا يُشير بهما ولا يدلُّ عليهما إلاّ المِرّةُ(13) المحترقة، ولا يؤدّي إلى مثل ذلك إلاّ خِذلانٌ من الله تعالى. فإنّ الله عزّ وجلّ لا يُعجِزه شيءٌ.

والشَّبُّوطُ – حفظك الله تعالى – جنسٌ كثيرُ الذكور قليلُ الإناث، فلا يكونُ إناثُه أيضاً يجمعْن البيض، وإذا جمعنَ فلو جمعتَ بيضَ عشرٍ منهنّ لما كان كشطْر بيضِ بُنيَّةٍ واحدة. وقد رأيتُ بيْضَ الشَّبُّوط وذقتُه للتعرُّفِ فوجدته غيرَ طائل(14) ولا مُعْجبٍ. وكلُّ صيّادٍ تسأله فهو يُنْبيك أنّ له بيضاً، ولكنّه إذا كان يكون ضئيلا قليلا لأنّ الشبابيطَ في أصلِ العدد من أقلِّ السمك وكذلك الجنس منه إذا كانت الأنثى منه مِذكارا.

على أنّه رُبّ نهرٍ يكونُ أكثرُ سمكه الشَّبُّوط، وذلك قَليل كنهر رَامَهُرْمز. والشَّبُّوطُ لا يتربّى في البحار ولا يسكن إلاّ في الأودية والأنهار ويكره الماءَ الملحَ ويطلبُ الأعذبَ فالأعذب ويكون في الماء الجاري، ولا يكون في الساكن. وسنذكُر شأنَه في موضعٍ من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

30 ولم يصب أبو واثلة، وكذبَوا على أمّ جعفر (...)

وأمّا الذي زعم أنّهم مُطِروا الشَّبُّوطَ فإنّه لمّا ظنّ أنّ الضفادعَ التي تُصابُ بعقبِ المطر بحيثُ لا ماءٌ ولا وحَلٌ ولا عينٌ ولا شريعة(15) – فإنّهم ربّما رأوْها وسط الدّوِّ(16) والدّهناء(17) والصَّمّان(18) – ولم يشكَّ أنّها كانت في السحاب، وعلم أنّها تكون في الأنهار ومنابع المياه، وليس ذلك من الذكر والأنثى، قاسَ على ذلك الظنّ السمكَ ثم جسَرَ فجعلَ السمكَ شبُّوطا.

الجاحظ. كتاب الحيوان الطبعة نفسها. الجزء الأوّل ص ص 149 / 156

التعريف بالأعلام

* **أبو واثلة** : هو إيّاس بن معاوية بن قرّة المزني : قاضي البصرة وأحدُ أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء. قال عنه الجاحظ "إياس من مفاخر مُضر ومن مقدّمي القضاة، كان وجيها عند الخلفاء" توفّي سنة 122 هـ.
* **حُرَيْث** : هو حُريث بن حسّان البكري. وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم وبايعه على الإسلام.
* **أيْذج** : بلَد بين حورسْتان وأصْبَهان. بلدة بالأهواز. وقيل : قرية بسمرْقنْد.
* **الخليل بن أحمد** : هو أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض. كان عارفا بالموسيقى وكان أستاذ سِيبَويْه النحويّ من مؤلفاته كتاب "العين"، توفيّ سنة 170 هـ
* **رَامَهُرْمز** : نهر بخُوزستان.

الشرح

1) **الخلق المركّب** : هو ما يحدث بالتراكيب ويخرجُ من التّزاويج كما يحدث البغلُ من تزاوُج الحِمار والفرس (أنثى الخيْل.)
2) **الصّدْق** : هو قوْلُ الحقّ في مواطن الهلاك. وقيل : أن تصْدُق في موضعٍ لا يُنْجيك منه إلاّ الكذبُ (عن التعريفات للجرجاني ص 132)
3) **الشّبُّوط** : جمعُه شبابيط. الشّبّوطُ والشّبُوطُ : ضرب من السمك، دقيق الذّنبَ، عريض الوسط، صغير الرأس، ليّن الملْمس. والكلمة دخيلةٌ. (carpe)
4) **الزَّجْرُ** : ضرب من السّمك عِظامٌ، صغارُ الحرْشَف (ما عليه من القشرة)، يتكلّم به أهل العراق : قال ابن دريْد ولا أحْسبه عربيّا. ج زجُور.
5) **البُنَيّ** : واحدته بُنيّة. ضرب من السمك أبيض، ظهره أصفرُ قاتم إلى زيتوني، وبطْنُه فضيّ اللون وزعانفه برتقالية إلى حمراء ومقدّمه مستدير وفمُه صغير، من فصيلة الشّبّوطيّات، شائع في أنهار الشّام وبحيراته ولا سيّما في الفُرات (Barbeau ou barbot)
6) **الصّميم** : العظْمُ الذي به قِوامُ العُضْو. وبه يُقال للرجل : هو منْ صميم قومه : من خالصِهِمْ. يُقال : صميمُ الحرّ والبَرْد : شدّته، وصميم الشتاء : أشدّه. الصميم في القوّة : شديد القوّة
7) **طخْياء** : صفة مشبهة متعلّقة بطخَا الليلُ : أظْلَمَ. ليلة طخْياءُ : شديدة الظلمة قد وارى السحاب قمرَهَا.

وسحابةٌ طخْياءُ : شديدةُ السّواد.

8) **المجانيق** : اسم مفرده منْجنيق، متعلق بجنق يجْنقُ : رمى بالمجانيق، المنْجَنيقُ : آلة منْ آلات الحصار كانت تُرمى بها حجارةٌ ثقيلة على الأسوار لتهدّمها. وقيل : هو أعجميٌّ مُعَرَّبٌ. (Catapulte)

9) **الأشوال** : مفردُها شوْلٌ. الشّوْلُ من النُّوق التي جَفّ لبنُها وارتفع ضَرْعُها وأتى عليها سبْعةُ أشهر من نتاجها فلم يبْق في ضروعها إلاّ شوْلٌ من اللبن أي بقيّةٌ. واحدتُها شائلةٌ. الشائلُ : الناقةُ التي تشُول بذنبها للّقاح ولا لبن لها أصْلا. ج شُوّالٌ

10) **الخِدال** : مفردها خَدْل : الغليظ الممتلئ السّاق. الشبابيط الخِدال : الممتلئةُ الأعضاء لحْما في رقّة عظامٍ

11) **ما أخْلق الخبرَ** : صيغة تعجّب، ما أخلَق الخبر أنْ : ما أجْدرَهُ

12) **وهَّمَهُ** : أوقعَهُ في الوهْم

13) **المِـرَّةُ** : ج مِررٌ وأمْرار : خلْطٌ من أخْلاط البدن والمرّةُ : القوّة وشدّة العقْل،

14) **طائل** : اسم متعلّق بطالَ يطولُ عليه : علاه وترفّع عليه. الطائل والطائلةُ : القُدرة، الفضْلُ، ج طوائِل. غيرُ طائل : عبارة تعني دون فائدة، لا منْفعة منه.

15) **شريعة** : مورد الماء الذي يُسْتقى منْه .

16) **الدّوّ** : الفلاة الواسعة.

17) **الدّهناءُ** : الفلاةُ.

الفهم والتحليل

1– يمكن أن نُقسّم النصَّ إلى قسميْن. حدّدهُما وأسندْ عنوانا لكل منهما.

2– هل استعمالُ فعليْ (قال) و(زعم) مقصود في هذا النصّ ؟ ما دلالتهما ؟

3– ادرس ردَّ الجاحظ على زَعْم "حُريث". هل ترى أنَّ الوصف الدقيق ساهم في صياغة هذا الردّ ؟

4– لماذا لم يقبل الجاحظ هذه الأخبار وأهمل إسنادها رغم تواترها ؟

5– علامَ يقوم المنهج الذي توخّاه الجاحظ في تفنيد هذه الأخبار ؟

6– من خلال موقف الجاحظ من" أبي واثلة" و"الخليل" هل يمكنك أن تستنتج بعضَ الخصال التي يجب أن يتحلّى بها العالِم ؟

النقاش

- يرى الجاحظ أنّ غرور العالم قد يفسد علمه، هل تُوافقه الرأيَ ؟ ادعم موقفك بحجج.
- هل ترى فوائد من جمع مِثل هذه الأخبار في كتاب علميّ ؟

بمناسبة هذا النصّ

اللغة	أ – إذا – (... فإذا سحابةٌ ...) تكون للمفاجأة، فتختصّ بالجملة الاسمية، ولا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابْتداء، ومعناها الحالُ لا الاستقبالُ. نحو "خرجتُ فإذا الأسدُ بالباب". – (... وإذا جمعن ...) إذا تكونُ ظرفا للمستقبل مُضمّنةً معنى الشرطِ وتختصُّ بالدخول على الجملة الفعلية عكس فاء المفاجاة. ويكون الفعلُ بعدها ماضيا كثيرا أو مضارعا دون ذلك. ابن هشام "مغني اللبيب" الجزء الأوّل ص 87 وص 93

اللغة	ب – رُبَّ : حرف جرّ تكون للتقليل والتكثير. والقرينةُ هي التي تُعيّنُ المرادَ ولا تجرُّ"ربَّ " إلا النكراتِ. الغلاييني. جامع الدروس العربية ج 3 ص 188 في النصّ "رُبَّ نهر" انظر في السياق وبين علام تدلّ ؟ **رُبّمَا** : (رُبَّ + ما) إذا زيدت "ما" بعد رُبَّ فالغالبُ أن تكفّها عن العمل وأن تُهيِّئها للدخول على الجمل الفعلية وأن يكون الفعلُ ماضيا لفظا ومعنى. ابن هشام . "مغني اللبيب" الجزء الأوّل ص 137 وجاء في لسان العرب "قال أبو حاتم : من الخطإ قولُ العامة : رُبّما رأيتُه كَثيرا ورُبّما إنّما وَضِعَتْ للتقليل". – الاستعمالُ الصحيح للحرفِ " رُبّ " وما دخل عليه أَن يجيء بعدَ حالة خاليةٍ من اليقين (كحالة الظنّ أو الشك) عباس حسن. النحو الوافي ج 2 ص 522 (في النصّ : فإنهم ربّما رَأَوْهَا ...) : ماذا أفادت ربّما ؟ ج – **مَا أَعْظَمَ** : تفيدُ التعجُّب "ويقترن المعنى فيه بمدلول الفعل المعجميّ.فإنْ كان معنى إيجابيا مستحسنا خرج التعجّبُ مخرجَ الإعجاب والمدح وإنْ كان المعنى سلبيا خرَجَ التعجّبُ مخرجَ الذمّ . " الأزهر الزناد. دروس في البلاغة العربية– المركز الثقافي العربي ط 1 / 1992 ص ص 140–141 "في النصّ " "ما أعظم " و" ما أخلق ... " علامَ يدلاَّن ؟
المعجم	في النص أسماء لكائنات حيّة وبلدان. استخرجْها. هل تفيد علميّا في دراسة الطبيعة ؟ وهل ساعدت الجاحظ على دعم رأيه في مسألة الخلق المركّب ؟

تنويـــر

من آراء الجاحظ

1– يقول الجاحظ في الشبّوط أيضا.

أمّا ما ذكرنا من أجناس الحيوان المركّبات كالبغل والشهْري والمُقْرِف والهجين ... فقد عرفنا كيف تراكيب ذلك وعرفنا اختلاف الآباء والأمّهات. فأمّا السّمعُ والعِسْبار والدّيْسَم والعُدار والزرافة، فهذا شيء لم أحُقِّقْهُ.

... وقد أكثر الناسُ في هذا وفي اللّخم، وفي الكوْسج، وفي الدّلفين وفيما يتراكب بين الثعلب والسِّنَّوْر البرّي، فإنّ هذا كلَّه إنّما نسمعُه في الأشعار، في البيتِ بعد البيت، ومن أفواهِ رجالٍ لا يُعْرفون بالتحصيل والتثبّتِ، وليسوا بأصحابِ تَوْقٍ وتوقّف.

وإذا كان إياسُ بن معاوية القاضي يزعمُ أنَّ الشبّوطة إنما خُلقَت من بين الزّجْر والبُنيّ وأنّ مِن الدليل على ذلك أنّ الشبوطة لا يُوجد في جوْفها بيْضٌ أبدا لأنّها كالبغلة، فأنا رأيتُ في جوفها البيْضَ مرارا، ولكنّه بيضُ سَوْءٍ لا يؤكلُ، ليس بالعظيم ولا يستطيل في البطْن كما يستطيل بيضُ جميع إناث السمك.

والشبّوط جنس يكون ذُكرانُه أكثرَ، فلا يكاد إنسانٌ يقلُّ أكلُه للشبّوط يرى بيض الشبوط. فإذا كان إياسُ يغلَط هذا الغلط، فما ظنُّك بمن دونه ؟

وقد يكون هذا الذي نسمعه من اليمانية والقحْطانية ونقرؤه في كُتب السِّيرة، قَصَّ به القُصَّاص، وسمَرُوا به عند الملوك.

كتاب البغال. رسائل الجاحظ تحقيق عبد مهنّا. دار الحداثة بيروت ط 1 – 1988ج 2 ص ص 235–236

فـي الأثـر

1– الجاحظ ينقد الآراء الشائعة

" وكان الجاحظ ينقد الآراء الشائعةَ بعقله العلمي، فهو لا يُؤمن بقول الناس إنّ في حِمصَ طلْسَما يمنع العقاربَ من أن تعيش فيها، ويعلّل ذلك باحتمال وجود حيوان مضادٍّ للعقرب يمنعها من أن تعيش في هذا البلد، ويهزأُ بوجود طلسم يمنع البعوضةَ إذا عضّت أن تكون لها حرقة، ويكذّب ذلك بأثر التجربة. وهكذا كان يذهب إلى التجربة في الإنسان و الحيوان والنبات ويفضّلُها على كلّ نقْل ... ويأخذُ نتائج تجارب الناس والخبراء، فهو يسأل الجزّارين ويُصحّح منهم أخبارا كاذبة شاعت عند الناس ويسأل الحوّائين ويتهكّم بقول من زعم أنّ الضبعَ تكون عاما ذكرا وعاما أنثى. "

محمد عبد المنعم خفاجي. أبو عثمان الجاحظ دار الكتاب اللبناني بيروت ط 1 / 1973 ص 177

2– المعرفة مقياسُ يميَّز به بين الرجال

وقد تتجاوزُ مظاهرُ الوعي المستوى الذّي يستخرجه القارئُ ويستنتجُه من طريقته في صوغ المسائل وسَوْقها إلى مستوى ثان تتحوّل فيه هذه المعرفةُ إلى مقياس يميَّز به بين الرجال وتُحدَّد منازلُهم من رجحان العقل والحظّ من الفِطنة. وهذا معناه أنّ الوعي الأجناسيّ في الكتاب تحوَّل إلى قيمة من القِيم الفاصلة في مجال المعرفة.

ورَوَوا عن أبي واثلة أنّه زعم أنّ من الدليل على أنّ الشبوط كالبغل، أنّ الناس لم يجدوا في طول ما أكَلُوا من الشبابيط في جوفها بيضا قط. فإنْ كان هذا الخبرُ صحيحا. فما أعظمَ المصيبةَ عَليْنَا فِيه.

حمادي صمود. من مقال الوعي بالأجناس الأدبية في كتاب الحيوان للجاحظ
حوليات الجامعة التونسية عـ45 / 2001 ـدد ص 205

3–وسائل المعرفة العلمية ثلاث الخبر القاهر والعيان الظاهر والعقلُ المستدلُ

" **العقل المستدلّ** هو الحجّةُ النهائية والمرجعُ الأخير في تصحيح الأخبار وتصويب العِيان – إذ الحواسُ قد تخطئ – وإلى جانب هذا يكون العقلُ أيضا وسيلةً للافتراض والمناقشة والجدل. فمِنْ أمثلة الجدَلِ البحتِ، مقارنتُه بين "صياح الديك ونُباح الكلب". هل هما غَريزيان أم تجاوبيّان ؟ فبعد الافتراض والاستدلال، يقرّر أنّ صقع الديك غريزيّ، أمّا نباحُ الكلاب فتجاوبٌ بين بعضِها بعضا. أمّا من جهة تصحيح الأخبار فقد دعا الجاحظ دائما إلى "تمييز الآثار" وظلّ يسخر من الفقهاء والمفسِّرين والمحدِّثين الذين يروون أخبارا عجيبة بدون تمحيص ولا تمييز."

محمد اليعلاوي. أشتات في اللغة والآداب والنقد. دار الغرب الإسلامي ط 1 / 1992 ص ص 7 – 8

4– النزعة العلمية التحقيقية

"رأينا أنّ النزعة العلمية العقلية المنطقية التي تنزع إليها المعتزلةُ تتجلّى عند الجاحظ في تسجيل الواقع تسجيلا شاملا بواسطة الملاحظة والمعاينة والسماع والتجربةِ، كما تتجلّى في تفهّم هذا الواقع بواسطة التعريف والتعليل ومختلف أنواع الاستدلال. غير أنّ لهذه النزعة مظاهرَ أخرى، إذْ أنّ المعرفة لا تقف عند هذا الحدِّ لأنّها لا تكتمل ما لم تصبح معرفةً يقينية. فاليقينُ وحدَه يُشفي ظمأ المتكلم – ولا سيّما المتكلمُ من المعتزلة – إلى المعرفة. ولذلك لم يكتف الجاحظ بما وصل إليه عن طريق الحواس والعقل من المعاني والمعارف بل إنّه أخضعها للتحقيق ليتأكّد منها بصورة قاطعة لا تحتمل الشكّ. وهذه النزعةُ التحقيقية هي من مظاهر النزعة الكلامية العلمية إذ أنّها تنمّ عن ثقة الجاحظ بالعقل وبصلاحيته في التوصّل إلى الحقيقة اليقينية وتتجلّى هذه النزعة في أساليب شتّى، أهمُّها الشكُّ والتنقيبُ والنقدُ والتهكُم."

الأب فيكتور شلحت اليسوعي. النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ، دار المعارف مصر 1964 ص 155

في المنهج العلمي

1– تعارض الأدلّة السّمعيّة والعقليّة

إذا تعارضت الأدلّة السّمعيّة والعقليّة ... فإمّا أن يجمع بينهما وهو مُحالٌ لأنّه جمع بين النّقيضيْن وإمَّا أن يُردّا جميعا ... فوَجَبَ تقديم العقل. ثمّ النّقل إمَّا أن يُتَأوّل وإمَّا أن يُفوَّض.

ابن تيمية. موافقة صريح المعقول لصريح المنقول بهامش منهاج السنّة – بيروت ص 2

2– نظرة العربيّ إلى العالم نظرة عقليّة

وإني لأزعم ها هنا بأنّ أبرز ما كان يميّز العربي القديم في وقفته تجاه العالم من حوله، هو أنّه نظر إليه نظرة "عقليّة". ومن شأن هذه الوقفة العقليّة أن تردّ الأشتات إلى وحدة تضمّها ضمّة المبدإ الواحد لنتائجه المتفرّعة أو العلّة الواحدة لسلسة معلولاتها. هكذا طفق العربي يردّ الكثرة إلى وحدة تبرز ما فيها من تجانس، وتميّز المؤتلف بين وحداتها من المختلف وبذلك استطاع أن يهيئ لنفسه سبيل "الفهم" – وما "فهم" شيئا إلاّ ردّه إلى أصله ومبدئه الذي يفسّره – فوقف من العالم ومن حياته وقفة بصيرة واعية.

زكي نجيب محمود. تجديد الفكر العربي ص ص307–322

3– المعاينة

تهدف المعاينة إلى بُلوغ عين الشيء المُدْرَك، المعايَن بطرائق الرؤية البصرية أو بالنظر العقلي والفكر أو بالاستبصار(الحدْس). ومن ثمَّ يكون ذلك الإدراك بلوغا للشيء عينه أي نفسه وذاته إدراكا يكون من الوضوح واليقين ...

في هذا المعنى معرفة تجمع نوعي النّظر العقلي والعيني وتوالف بين الوجهين الحسّي والنظري.

وهكذا تكون المعاينة بمعناها الواسع الشامل إمعانُ للنظر (بالعيْن البَاصرة) وللفكر وتمعّن في فكرة أو في موجود ماديّ، وذلك إمّا بواسطة الملاحظة والتجريب وإمَّا بطرائق العقل. المعاينة، هنا، معرفة تستعمل الطرائق المناسبة.

الموسوعة الفلسفية العربية. معهد الإنماء العربي ط1/1986 ص 751

"مما زعموا ..."

يمثّل هذا الشكل صورة التنين. من كتاب العلوم في الإسلام دار الجنوب للنشر. تونس 1978